الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الشهيد حمه لخضر – الوادي

كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

تسريد الهوية في رواية " أرض الله "
-لأيمن العتوم-

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي
تخصص: نقد حديث ومعاصر.

إعداد الطلبات:
* رزيقة حثروبي.
* سعيدة بن سالم.
* نسرين العمامرة.

إشراف الأستاذة:
* د/ سمية صالحي.

لجنة المناقشة:

الاسم واللقب	الرتبة العلمية	الصفة
أ/د: مريم كرّوش	أستاذ مساعد –أ–	رئيسًا
أ/د: سمية صالحي	أستاذ محاضر –ب–	مشرفًا
أ/د: راجية غانية	أستاذ محاضر –ب–	مناقشا وممتحنًا

الموسم الجامعي: (1447/1446هـ)(2025/2024م)

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الشهيد حمه لخضر – الوادي

كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

تسريد الهوية في رواية " أرض الله "
-لأيمن العتوم-

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي
تخصص: نقد حديث ومعاصر.

إعداد الطلبات:
* رزيقة حثروبي.
* سعيدة بن سالم.
* نسرين العمامرة.

إشراف الأستاذة:
* د/سمية صالحي.

لجنة المناقشة:

الاسم واللقب	الرتبة العلمية	الصفة
أ/د: مريم كرّوش	أستاذ مساعد –أ–	رئيسًا
أ/د: سمية صالحي	أستاذ محاضر –ب–	مشرفًا
أ/د: راجية غانية	أستاذ محاضر –ب–	مناقشا وممتحنًا

الموسم الجامعي: (1447/1446هـ)(2025/2024م)

بسم الله الرحمن الرحيم

قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ١٠٥ ﴾ التوبة [105]

اللهم اجعلنا من المقدَمين لديك المقدِمين كل مايقربنا زُلفى إليك، سبحانك نستغفرك ونستعين بك ونتوكل عليك ونصلي على خير خلق الله سيدنا محمد ﷺ بن عبد الله ونُسَلمُ تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.

الحَمْدُ للهِ لا أَبْغِي بِهِ بَدَلا .:. حَمْدًا يُبَلِّغُ مِنْ رِضْوَانِهِ الأَمَلا

ثُمَّ الصَّلاةُ على خيرِ الوَرى وعلى .:. سَادَاتِنَا آلِهِ وَصَحْبِهِ الفُضَلَا

نهدي ثمرة جهدنا إلى:

إلى الوالدين الكريمين الأحياء منهم الذين مازال دفء دعائهم يضيء دروبنا والراحلين الذين مازالت أرواحهم تحرس خطانا من علياء الخلود.

كنتم أول من حرر فينا الحب من قيود النفع وأول من كسر قيود الجهل بمفاتيح القلب، إلى كل من علمونا أولئك الذين أخرجونا من عبودية التلقين إلى حرية السؤال، ومن ظلمة الجهل إلى نور الفكر، فكانوا شموسًا لا تغيب ونسائمَ لا تجف.

إلى أطفال غزة بذور الحرية أنتم الذين كسرتم قيود الظلم تبحثون عن حقكم في الحلم والاختيار.

إليكم جميعًا نهدي هذا البحث ثمرة سعينا نحو الحقيقة ونشيد روحًا تأبى أن تُستعبد في سجون الجهل.

شكر وعرفان

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده محمد ﷺ، وبعد:

الشكر لله . عز وجل . الذي أنار لنا الدرب، وفتح لنا أبواب العلم وأمدنا بالصبر والإرادة لإتمام هذا البحث، فله الحمد والشكر حمدا طيبا مباركا فيه يليق بجلاله، ومن باب قوله ﷺ:

" من لم يشكر الناس لا يشكر الله "

فإن الوفاء يقتضي أن يرد الفضل إلى أهله، لذلك نتقدم بجزيل الشكر والعرفان إلى من كان لها الفضل بعد الله عز وجل في إخراج هذا البحث العلمي، الأستاذة الدكتورة" سمية صالحي" لتفضلها بالإشراف على هذه المذكرة، والتي وجدنا فيها نعم المعين والمشرف، حيث قدمت التوجيه السليم والرأي السديد، الذي ساعدنا في تخطي الكثير من الصعاب فجزاها الله عنا خير الجزاء وأمدها بالصحة والعافية.

مقدمة

في خضم التحولات المتسارعة التي يشهدها العالم، تبقى مسألة الهوية إحدى أبرز الإشكاليات التي تشغل الفكر الإنساني، إذ تمثل المرآة العاكسة لعلاقة الفرد بذاته وبمحيطه الثقافي والاجتماعي والسياسي، فالهوية ليست مجرد إطار خارجي يحدد الانتماء، بل هي كيان متحول يتشكل عبر التفاعل العميق مع التجربة والذاكرة واللغة والمكان.

وفي الأدب تتجلى الهوية بأبها صورها، إذ يمنح السرد للكتَّاب مساحة حرة للتعبير عن الذات في مواجهة العالم، ويتحول النص إلى حقل خصب تتفاعل فيه العناصر النفسية والاجتماعية والفكرية، التي تسهم في بلورة الشخصية الأدبية، ومن هنا يغدو الأدب مجالا حيويا لقراءة التحولات العميقة في الذات الفردية والجماعية، ولتفكيك الانتماء والاغتراب والبحث عن المعنى.

ونظرا لما تتعرض له الهوية العربية من طمس وتغريب، وتأثرا منا بما يحدث في الساحة العربية خاصة الظروف التي تعايشها غزة وإخواننا في فلسطين، وإيمانا منا بفكرة التحرر والتشبث بالهوية، كان اختيارنا للموضوع، بالإضافة إلى ذلك الأسلوب الروائي الرائع الذي امتاز به العتوم، والذي داعب إنسانيتنا التي تطمح دوما الى الحرية والبحث عن إثبات الذات والهوية. وانطلاقا من هذا المنظور، جاءت هذه المذكرة الموسومة بـ "تسريد الهوية في رواية أرض الله لأيمن العتوم" وهي دراسة في تكوين شخصية بطل الرواية، لتسير أغوار الهوية من خلال بنية الشخصية الساردة، متخذة من رواية أرض الله نموذجا أدبيا غنيا يعكس معاناة الذات في محاولتها لفهم العالم واستيعاب موقعها ضمنه، ومن هنا نطرح التساؤل التالي:

إلى أي مدى وُفِّقَ العتوم في تسريد شخصية البطل عمر بن السيد؟ وهل استطاع إثبات فكرة ضرورة التحرر من براثن العبودية؟ وتنبثق عن هذا التساؤل أسئلة فرعية منها:

ما مفهوم تسريد الهوية ؟ وما مقومات الهوية ؟ .

وللإحاطة بهذه التساؤلات وللإجابة عنها، جاءت هذه المذكرة التي حاولنا فيها الإلمام بجوانب الموضوع متبعين في ذلك خطة، أردنا أن تكون ملمة بالمضمون، حيث وقفنا على المفاهيم اللغوية والاصطلاحية لكل من الهوية والتسريد ثم عرَّجنا على العتوم فقدَّمناه وعرَّفنا به، دون أن ننسى تلخيص مضمون الرواية لننتقل الى الفصل التطبيقي الأول والمعنون بتسريد الهوية في مرحلة تشكل الشخصية، وهو الفصل المكون من ثلاث مباحث، تحدثنا في المبحث الأول منه عن محددات ذات الشخصية بطل الرواية، أما الثاني عن تسريد الأمان في مرحلة تشكل الشخصية، لنتحدث في المبحث الثالث عن تسريد المكان في مرحلة تشكل الشخصية، حيث تطرقنا فيه إلى دلالات الأماكن التي مر بها البطل في طفولته وكانت ملازمة له عبر صفحات حياته، كما ضمت مذكرتنا فصلا تطبيقيا ثانيا عنون بـ تسريد الهوية في مرحلة العبودية، وقسمناه كذلك إلى ثلاثة مباحث تحدثنا في المبحث الأول عن تشظي الهوية، لنتحدث في الثاني عن مرحلة المقاومة النفسية ومحاولة التحرر، في حين تحدثنا في المبحث الثالث عن مرحلة التحرر الفكري والاستسلام الجسدي، وختمنا المذكرة بخاتمة ضمت أهم النقاط التي توصلنا إليها في نهاية البحث وقائمة ضمت أهم المراجع والمصادر التي اعتمدناها في إنجاز هذه المذكرة.

وللإحاطة بكل هذه النقاط ودراستها اخترنا المقاربة الثقافية بآليتي الوصف والتحليل الذي ارتأينا أنه الأنسب لسير أغوار تشكل الشخصية من حيث أنه يعني بالأنساق التي أحاطت بها وساهمت في بنائها، متسلحين بآليتي الوصف والتحليل للإحاطة والتفسير، كما استعنا ببعض المناهج السياقية كالمنهج النفسي والاجتماعي. وقد اعتمدنا في هذه الدراسة على مجموعة من المصادر التي هي أمهات الكتب مثل: الرواية (أرض الله)، لسان العرب لابن منظور، وكتاب الباحث عن الهوية لإيريك إيركسون، والدراسة الموسومة بملامح الهوية في رواية سيدات زحل، بالإضافة إلى مجموعة من الكتب الأخرى والمقالات وكذا الأطروحات التي عالجت مواضيع مشابهة فاستفدنا منها. ولعل أبرز الصعوبات التي

واجهتنا خلال دراستنا هذه هو طول الرواية رغم روعة الأسلوب وسلاسته، بالإضافة إلى ندرة الدراسات حول المؤلف والرواية موضوع الدراسة، فجل المعلومات المستقات، لا تتخطى معلومات في مجلات أو على المواقع الإلكترونية، كما كان للتوفيق بين الدراسة النظرية والتطبيقية للموضوع شأنه في الصعوبة، وعلى الرغم من هذه الصعوبات إلا أنه وبفضل الله تعالى وتوفيقه، ثم بفضل توجيهات وإرشادات الأستاذة المشرفة الدكتورة صالحي سمية استطعنا أن نتغلب عليها ونتخطاها.

وأخيرا نأمل أن تحظى هذه الدراسة بالثناء والإعجاب وتكون في مستوى التطلعات، وتفتح أبواب التحفيز للبحث في هذا الموضوع الهام كما نرجو أن نرى في المستقبل القريب دراسات أخرى حول هذه الرواية المميزة التي نراها التي تستحق الاطلاع والدراسة.

مدخل: الهوية والسرد:

أولاً: مفـــهوم تسريد الهوية:

- السرد لغة واصطلاحًا
- الهوية لغةً واصطلاحًا
- تسريد الهوية

ثانيًا: مُـــحددات الهوية.

ثالثًا: أيمن العتوم ورواية أرض الله:

- نبذة عن أيمن العتوم
- ملخص رواية أرض الله

أولاً: مفهوم السرد والهوية لغةً واصطلاحًا:

أ) مفهوم السرد:

لغة:

إنّ لفظة السرد تعود إلى الجذر اللغوي (س ر د) وقد ورد هذا الجذر بمعانٍ عِدَّةٍ في معاجم اللغة، فها هو قد جاء في معجم الصِّحَاحِ: « س ر د؛ دِرْعٌ مَسْرُودَةٌ ومُسَرَّدَةٌ بالتَّشْدِيد: فقِيلَ سَرْدُها نَسْجُها وهو تَداخُل الحَلَقِ بعْضِها في بعْضٍ، وقيل السَّرْدُ الثَّقْبُ والمَسْرُودَةُ المَثْقُوبَةُ، وفُلاَنٌ يَسْرُدُ الحَدِيثَ إذا كان جَيّدَ السِّيَاقِ له وسَرَدَ الصَّوْمَ تَابَعَهُ، وقولُهُم في الأَشْهُرِ الحُرُم: ثَلاثَةٌ سَرْدٌ أيْ مُتَتَابِعَةٌ...، وسَرَدَ الدِّرْعَ والحَدِيثَ والصَّوْمَ كُلُّهُ مِنْ بَابَ نَصَرَ»[1]، وورد في القاموس المحيط: « السَّرْدُ: الخَرْزُ في الأديم، كالسِّراد بالكسر، والثَّقْبُ، كالتَّسْرِيدِ فيهما، ونَسْجُ الدِّرْع، واسْمٌ جامِعٌ للدُّروع وسائِرِ الحَلَقِ، وجَوْدَةُ سِيَاق الحَدِيثِ»[2]، كما وردت لفظة السرد في القرآن الكريم بمعنى الدِّرْعِ قال الله ﷻ:﴿ أَنِ ٱعۡمَلۡ سَٰبِغَٰتٖ وَقَدِّرۡ فِي ٱلسَّرۡدِۖ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ١١ ﴾ سبأ [11]، لفظة السرد تحمل دلالات متعددة تتمحور حول الترابط والتتابع، فنقول درع مسرودةٌ تشير إلى النسج المحكم ممّا يمنحها جودة وصلابة، وسرد الحديث فهو ترابط الحديث وتسلسله دون انقطاع، ما سرد الصوم فهو تتابع أيام الصوم، وترابطها أيضا دون فاصل بينها، إجمالاً نقول إن مفهوم السرد لغة يتمحور حول الترابط والتتابع وتسلسل الشيء دون فاصل يقطعه.

---

[1] محمد بن أي بكر بن عبد القادر الرازي، **مختار الصحاح**، دائرة المعاجم في مكتبة لبنان، (د– ط)، بيروت، 1986، ص124

[2] مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، **القاموس المحيط**، دار الحديث، (د–ط)، القاهرة، (1429 هـ–2008 م)، ص762.

اصطلاحًا:

يُعرف جنات بلخن السرد بقوله: «هو عملية نقل الوقائع وتقديمها ضمن قالب شفوي أو كتابي. من قبل شخصيات معينة لتوضيح موضوع ومادة السرد»[1]، هذا المفهوم يعكس جوهر السرد كعملية نقل الأحداث والوقائع بطريقة منظمة ومترابطة، سواء كان شفوياً أو كتابياً. فالسرد ليس مجرد نقل معلومات، بل هوفن يتطلب مهارة في الترتيب والانتقاء والتقديم، بحيث يكون جذاباً ومؤثراً. وهو يتجاوز كونه مجرد وسيلة تواصل ليصبح أداة لفهم العالم والتعبير عن تجارب الذات وما تمر به من أحداث وما يعتريها من أحاسيس ومشاعر.

ويُعرفه جيراد برنس بقوله: «ويقصد بمصطلح السرد أيضا تلك العملية الإجرائية التي تنتج عنها القصة حيث يصير كل شيء من وصف وحوار وتعليق مرويًّا أو محكيًّا أي مسرودًا»[2]، يركز جيرارد برنس على الجانب الإجرائي للسرد، بمعنى أنه ليس مجرد محتوى أو أحداث، بل هو عملية تُحوِّل العناصر المختلفة كالحوار والوصف، والتعليقات إلى شكل حكائي يتم تقديمه للقارئ أو المستمع. أي أن السرد هو الطريقة التي تُبنى بها القصة، وليس فقط القصة نفسها.

من هنا يمكن القول إن السرد ليس فقط "ما يُقال"، بل هو أيضًا "كيف يُقال".

فالزمن السردي والأسلوب، والمنظور، تعد عوامل تتفاعل فيم بينها وتؤثر على طريقة استقبال القصة وفهمها لدى المتلقي، فمن الممكن أن نسرد ذات الحدث ولكن بطرق مختلفة في كل مرة حسب السارد وطريقته في السرد، مما يميزه بطابع خاص يؤثر على تجربة المتلقي.

---

[1] جنات بلخن، **السرد التاريخي عند بول ريكور**، منشورات الاختلاف، (د. ط)، الجزائر، 2014، ص47.

[2] جيراد برنس، **قاموس السرديات**، تر: سيد إمام، ميريت للنشر والمعلومات، (د . ط)، القاهرة، 2003م، ص48.

ويرى سعيد يقطين أن السرد هو «الحكاية – الحكي– السرد، وهو تلخيص المعلومات عن الشخصيات بلسان السارد»[1]،يدمج مفهوم يقطين للسرد بين ثلاثة مفاهيم مترابطة لكنها ليست متطابقة تمامًا: الحكاية، الحكي، والسرد، والفرق بين هذه المفاهيم الثلاثة يكمن فيما يلي:

- الحكاية: هي القصة في شكلها الخام، أي مجموعة الأحداث التي تجري لشخصيات معينة في زمان ومكان محددين. بمعنى آخر، هي "ماذا يحدث؟
- الحكي: هو الفعل أو العملية التي يتم بها نقل الحكاية، سواء شفوياً أو كتابياً، وقد يكون بأسلوب مباشر أو غير مباشر.
- السرد: هو الطريقة التي تُقدَّم بها الحكاية، أي الأسلوب الذي يعتمد عليه السارد في ترتيب الأحداث وتقديم الشخصيات والتلاعب بالزمن والتفاصيل.

إذًا فالسرد اصطلاحًا هوفن تُعزى إليه عملية نقل الوقائع والمعلومات بأسلوب شيق متسلسل ومنظم شفويًّا كان ذلك أم كتابيًّا، ويتطلب براعة في الانتقاء والترتيب والتنقل بين الأحداث وتحريك الشخصيات، وإعطائها حيوية باستخدام الوصف والحوار مما يُشكل مادة حكائية جذابة للمتلقي.

[1] عبد الرحيم الكردي، **السرد في الرواية المعاصرة**، نشر مكتبة الآداب، (ط–1)،القاهرة، 2006م، ص103.

ب) مفهوم الهُويّة:

لغة:

لقد جاءت لفظة الهُوية في لسان العرب لابن منظور؛ «هُويّة تصغير هُوّة،...، والهُوَّةُ البِئْرٌ بَعِيدَةٌ مَهْوَاةٌ والحُفْرَةُ البَعيدَةُ القَعْرِ، وهيَ المَهْوَاةُ، قال ابنُ الأعرابي: الرِّوايةُ عَرْشَ هُوِيَّةٍ، أرادَ أُهْوِيَةً فلمّا سقطتِ الهمزةُ رُدَّتِ الضَّمَّةُ إلى هاء»[1]، يتناول هذا المفهوم اشتقاق كلمة "هُوِيَّة" من "هُوَّة"، مع الإشارة إلى أن "الهُوَّة" تعني الحفرة العميقة أو البئر بعيدة القعر. لكن هذا التحليل اللغوي قد يكون بعيدا وغير دقيق عند الحديث عن مفهوم "الهوية" بمعناها الحديث.

والهوية مصدر صناعيٌّ من كلمة هو للدلالة عللا أنّ الشيء هو هو، وليس غيره، أو أنّه هو هو ثم يصدر شيئًا آخر، وهي الذات الثابتة من خلال تغير أحوالها مثل: هوية الأنا»[2]،

إن أصل، كلمة "هوية" مشتقة من الضمير "هو"، مع إضافة ياء النسبة للدلالة على ماهية الشخص أو الشيء، وماهية الشيء هي "حقيقته وما يميزه عن غيره". في حين أن الربط بين "هوية" و"هوة" أقرب إلى تأويل صوتي أو اشتقاقي غير شائع في علم اللغة الحديث، وربما كان استخدام ابن الأعرابي في هذا السياق تفسيرًا خاصًا لم يُصبح قاعدة معتمدة، بالتالي لو أردنا فهم "الهوية" كمفهوم فلسفي أو اجتماعي، فالأنسب ربطها بالضمير "هو"، وليس بالهوة كحفرة عميقة.

---

[1] يُنظر: ابن منظور (711/630 هـ)، **لسان العرب**، دار المعارف، (ط 1.)، القاهرة، (د–ت)، ص4729.

[2] يُنْظَر: محمد يَعْقوبي، **معجم الفلسفة**، دار الكتاب الحديث، (ط–1)، القاهرة،2008، ص174.

اصطلاحًا:

يُعرّفها المفكر الفرنسي أليكس ميكشيللي بقوله هي: «منظومة متكاملة من المعطيات

المادية والنفسية والمعنوية والاجتماعية، تنطوي على نسق من عمليات التكامل المعرفي، وتتميّز بوحدتها التي تتجسد في الروح الداخلية التي تنطوي على خاصية الإحساس بالهوية والشعور بها، فالهوية هي وحدة المشاعر الداخلية، التي تتمثل في وحدة العناصر المادية والتمايز والديمومة والجهد المركزي، وهذا يعني أنّ الهوية هي وحدة من العناصر المادية والنفسية المتكاملة، التي تجعل الشخص يتمايز عمَّمْ سواه، ويشعر بوحدته الذاتية»[1]

ويرى أنّ الهوية تدور في ثلاث دوائر:

. دائرة الفرد ضمن مجموعة واحدة، باختلاف أنواع هذه المجموعات، بحيث يتمايز الفرد عن ذويه من المجموعة نفسها بهوية خاصة.

. دائرة المجموعة المتمايزة ضمن الأمة الواحدة.

. دائرة الأمة المتمايزة بين الأمم الأخرى.

ويقدّم أليكس ميكشيللي الهوية كمفهوم شامل لا يقتصر على كونه مجرد انتماء أو تعريف ذاتي، بل ليشمل أيضا بعض العناصر المترابطة فيم بينها ماديًا ونفسيًا واجتماعيًا. فالمغزى من قوله هنا إن الهوية ليست مجرد بطاقة تعريف أو انتماء جماعي، بل هي تجارب داخلية تشعر بها الذات من خلال الاغتراب والاحساس بالوحدة والتمايز عن الآخر.

أهم النقاط في التعريف:

[1] لُجّان العمل الصحي، **مفهوم الهوية**، مؤسسة لُجّان العمل الصحي، (د–ط)، (د–ت)، ص1.

1)- التكامل المعرفي: يعني أن الهوية تتشكل من خلال عمليات فكرية وثقافية مستمرة تعيشها الشخصية وتعتقدها.

2)- الروح الداخلية والإحساس بالهوية: ويراد بها أن الهوية ليست فقط شيئًا موضوعيًا، بل هي مجموعة التجارب التي يعيشها الشخص داخليًا.

3)- وحدة المشاعر والعناصر المتكاملة: تجمع بين العوامل النفسية (مثل الشعور بالانتماء) والعوامل المادية (كاللغة، الثقافة، المعتقد، الرقعة الجغرافية أو الوطن).

4)- التمايز والديمومة: الهوية تميّز الذات عن الآخر لكنها قد تكون متغيرة وليست ثابتة تمامًا، فهي معرضة للتطور والتشكل مع الزمن.

ويرى جميل صليبا أنّ « اسم الهوية ليس اسمًا عربيًّا، وإنما اضطرَّ إليه بعض المُترجمين، واسم الهوية ليس مرادفًا لاسم الوحدة والوجود حيث يقول: هوية الشيء عينُه وتشخصه، وخصوصيته، ووجوده المنفرد له والهوية سارية في جميع الموجودات»[1]، ركز جميل صليبا في تعريفه للهوية كونها ليست لفظا عربيا أصيلا ولم يذكر في كتب التراث العربي بل جاء في المصطلحات الفلسفية واضطر لترجمتها المترجمين وكون الهوية ليست وحدة ووجود مشترك بل هيما يجعل الشيء متفردا بذاته وهنا نرى أن هذا التعريف يتجاوز كون الهوية انتماء الى كونها فرادة وتميز.

ويرى الجابري أنّه « لا تكتمل الهوية الثقافية ولا تبرز خصوصيتها، ولا تغدو هوية ملتئمة قادرة على نشدان العالمية إلا إذا تجسدت مرجعيتها في كيان تتطابق فيه ثلاثة عناصر؛ الوطن (الجغرافيا والتاريخ) والدولة (التجسيد القانوني لوحدة الوطن والأمة) والأمة

[1] جميل صليبا، **المعجم الفلسفي**، ج 2، دار الكتاب اللبناني، (د . ط)، لبنان، 1982م، ص529-530.

(النسب الروحي الذي تنسجه الثقافة المشتركة).»[1]، الجابري ربط الهوية الثقافية بثلاث عناصر وهي الوطن الدولة الأمة الوطن فهو بنظره يمثل الوعاء الجغرافي والتاريخي وهو الأرض التي تحتوي الثقافة وتاريخ يروى وبه تستمر الهوية الدولة هي إطار قانوني وسياسي يضم الجماعة ويضمن استمراريتها في حين تمثل الأمة العادات والتقاليد واللغة والعقائد التي تتبناها الجماعة وبهذا فان الهوية متماسكة ومنفتحة عن العالم وتتفاعل معه دون الذوبان فيه.

إذًا يمكن القول إنّ الهوية تُعد كينونة ذاتية متميزة ومتفردة سواء للفرد أو للجماعة وتتشكل من خلال تفاعل عدة عناصر ومفاهيم عبر شبكة معقدة من التفاعلات بين الذات والمجتمع قابلة للتشكل والتأثر باستمرار عبر الزمن.

ج) مفهوم تسريد الهوية:

إنّ مصطلح تسريد الهوية مصطلح مُرَكّبٌ «يدلُّ على طريقة الكاتب في رسم صورة الذات وتقديمها عبر اللغة في نسيج للأسئلة المطروحة ضمن ثقافة ما عن؛ من نحنُ في نظر الآخر؟ ومن نكون في مرآة أنفسنا؟ وما مُكوّنات الانتماء وأسس ذلك التصنيف؟»[2]، إنّ هذا المصطلح يدل على طريقة الإجابة عن أسئلة معينة تمس الهوية، ونسجها في قالب سردي يعرضها بأسلوب لُغويّ أدبي يحاول فيها السارد معالجة قضايا الهوية.

---

[1] يُنظر: محمد علي الجابري، **العولمة والهوية الثقافية**، مجلس المستقبل العربي، نشر مركز دراسة الوحدة العربية، (د، ط)، بيروت، 1998م، ص14–22.

[2] مجموعة كُتّاب، مجلة كلية التربية، جامعة واسط، المؤتمر الدَّوْليّ الحادي عشَر، نيسان، 2012م ص351.

ثانيًا: مُحَدِّدَات الهوية:

مُحدّدات الهوية هي معاييرُ وعواملُ تُحدد هوية الذات عن الآخر، وهوية جماعة عن هوية جماعة أخرى، وقد تعدّدتْ هذه المُحددات وتنوّعتْ وهي «مُلخّصة في أربعة عناصرَ»[1]:

1) عناصر مادية وفيزيائية:

- الحيازات: كالاسم، الأموال، السكن، القدرات العقلية والمالية، التنظيمات المادية كالتنظيم الإقليمي ونظام السكن.
- انتماءات فيزيائية وانتماءات اجتماعية وسمات مورفولوجيّة.

2) عناصر تاريخية:

- الأصول التاريخية: كالأحداث الهامة والآثار والعقائد والعادات والتقاليد.

3) عناصر نفسية ثقافية:

- النظام الثقافي: كالشرائع والرموز الثقافية والأيديولوجيا، وكذلك النظام الثقافي (فنّ وأدب).
- النظام المعرفي: (السمات النفسية واتجاهات القيم).

4) عناصر نفسية اجتماعية:

- أُسُس اجتماعية: (اسم، عمر انتماءات، قيم اجتماعية، كفاءات، توعية وتقديرات).

---

[1] يُنظر: أليكس ميكشيللي، **الهوية**، تر: عليّ وطفة، دار الوسيم للخدمات الطباعية، (ط،1)، دمشق، 1993م، ص19–20.

- القدرات الخاصة بالمستقبل: (القدرة والإمكانية، والإثارة الاستراتيجية، التكَيُّف، ونمط السلوك).

ثالثًا: أيمن العتوم ورواية أرض الله:

1. نبذة عن حياة أيمن العتوم:

أيمن العتوم: من يكون؟

لعل أول ما يستوقفنا حين نطالع روايتنا الممتعة " أرض الله " هو صاحبها ومبدعها، لن نتحدث عن عمر السيد في هذا المقام، فحديثنا عنه مطول، ولكن ليس بوقته، ولكن لنتحدث عن ذلك المبدع الذي جعل من هذه الرواية غاية في المتعة فقارئها يطوي الصفحات طيًّا للوصول إلى باقي أحداثها، كأنك به يحاول الوصول إلى نهاية الرواية منذ صفحاتها الأولى، فمن صاحب هذه الرواية؟ وكيف اكتسب هذه القدرة الفائقة على إتقان السرد والإبداع فيه؟

"أيمن بن علي العتوم ليس بروائي فقط، بل تخطى السرد إلى الشعر، صاحب لغة شعرية متقنة، أردني المولد، فقد ولد بمدينة جرش منطقة سوف"[1]في الثاني من شهر آذار مارس سنة 1972. كان والده " الدكتور علي العتوم " عضوًا من أعضاء الحركة الإسلامية في الأردن الأمر الذي جعل منه ينشئ نجله على حب اللغة العربية وآدابها فأنشأه نشأة إسلامية عروبية وهوما يلمسه المتصفح لعناوين روايات وإبداعات " أيمن العتوم " فهي تحمل الطابع الإسلامي، بل إن بعضها كانت تناصًّا مع آيات قرآنية من ذلك روايته " يا صاحِبَيِ السِّجْنِ ".

ومن الإنصاف في هذا المقام أن نتتبع مراحل حياة هذا المبدع الذي انتقل من مسقط رأسه "جرش" مع عائلته إلى الإمارات المتحدة حيث درس هناك، ليعود إلى الأردن ويستقر

بها ويواصل مسيرته العلمية ليحصل على عدة شهادات جامعية، كان لسان حالها يشرح مدى نبوغه وعلمه حيث حصل من جامعة العلوم التكنولوجية شمال الأردن على درجة البكالوريوس في الهندسة المدنية وكان ذلك سنة 1997، ومن جامعة اليرموك على شهادة البكالوريا في الأدب واللغة العربية 1999، ليكمل الدراسات العليا في اللغة العربية من الجامعة الأردنية، فحصل على شهادتي الماجستير ثم الدكتوراه في النحو واللغة وذلك في 2004 و2007[1].

عمل أيمن العتوم في ميدان الهندسة المدنية كمهندس تنفيذي يجوب المواقع الإنشائية في الفترة 1997-1998م، ثم استهوته اللغة العربية فكان أستاذا لها، حيث مارس مهنة الأنبياء في عدة مدارس رائدة في الأردن ولا يزال.

كان لحب اللغة العربية ونشأته عليها دافعا قويا لامتلاك وشحذ قريحته اللغوية المبدعة، فهو شاعر وروائي خط بماء من ذهب اسمه في سماء المبدعين، فامتاز أسلوبه بسمات يلاحظُها القارئ الدارس لأدبه، وهي تلك السمات والنقاط المشتركة بين أعماله الأدبية كلها، فهو يكتب بأسلوب سهل ممتع شيق بلغة فصيحة بليغة، يصف أماكنه وصفا يجعل من القارئ يعيش المكان بنفسه؛ تشبعه بالثقافة الإسلامية جعل منه يقتبس عناوينَ لدواوينَ وفصولٍ من رواياته فكانت " يا صاحِبَيِ السِّجْنِ " والتي تحدث فيها عن تجربته القاسية في المعتقل 1996-1997[2] بأسلوب مؤثر، وهي الرواية الصادرة في 2012 وكذا " يسمعون حسيسها " وهي تجربة ثانية في أدب السجون حين كان سجينا في سوريا 2012، " ذائقة الموت " 2013، روايته الخيالية " نفر من الجن " 2014 والتي تحكي الصراع الدائم

---

[1] يُنظر: صيتة العذبة، **(رواية السجون بين فراشة هنري شاربير الفرنسية والحسيس العربي لأيمن العتوم)**، من المنظور السردي المقارن (مقال) عن مجلس النشر العربي – جامعة الكويت، مجلد 41، عدد 164، سنة 2023، ص 271-308.

[2] أيمن العتوم ل(ميدان) النص الإنساني خالد: عليا كنعان في 2019/03/27 https://www.aljazeera.net .

بين الحق والباطل، وعن تلك الظروف التي تجعل الشعوب هي التي تبدع في صنع طغاتها، رواية " كلمة الله " 2015 والتي تحدثت عن التعصب بين الإسلام والمسيحية، وكيف أن الأوطان ليست شراكة، بل أن الإنسان يحب التفرد بهذا الوطن لعشقه له.

"حديث الجنود" 2014، والتي تتحدث عن أحداث جامعة اليرموك عام 1986، وهي الرواية التي منع تداولها في الأردن، " خاوية " وهي الرواية التي تناقش حياة أطفال سوريا منذ بدء الحرب 2016، " اسمه أحمد " والتي تحكي قصة الجندي أحمد الأردني، الذي قتل سبع إسرائيليات وحكم عليه بالمؤبد 2017. "طريق جهنم" 2018 " أرض الله " وهي موضوع دراستنا والتي تتحدث عن العبودية التي واجهها عمر السيد في أميركا، فهي تركز على الصبر وحب الوطن 2020 والعديد من الروايات الأخرى بالإضافة إلى مجموعة من المقالات والدواوين الشعرية ومسرحيتين اثنتين فقط. فالعتوم طالب ذو إنتاج غزير، برع في روايات الأدب السجون ومحاكاة الواقع السياسي، الأمر الذي جعل شريحة كبيرة من القراء توجهت لقراءته، ولاتجاهاته السياسية منعت بعض أعماله من النشر، وحكم عليه بالسجن بسبب روايته "حديث الجنود".

وقد ترشح العتوم للعديد من الجوائز الأدبية منها:

_ الترشح للجائزة العالمية للرواية العربية عام 2013 ليكون أحد المشتركين في المسابقة التي تهدف إلى مكافئة التميز في الأدب العربي المعاصر [1].

_الترشح لجائزة كتارا للرواية العربية والفن التشكيلي والتي تهدف إلى ترسيخ حضور الروايات العربية المتميزة عربيا وعالميا [2].

[1] أيمن العتوم: الجائزة العالمية للرواية العربية أطلع عليه بتاريخ 2021/09/01 بتصرف.

[2] الاسم الكامل: أيمن العتوم: جائزة كتارا للرواية العربية أطلع عليه 2021/09/01 بتصرف

_ في حوار أجري مع العتوم في قناة الجزيرة وكان ذلك في برنامج "ميدان" سألت المذيعة العتوم: كانت بداياتك مع الشعر وعرفت به أكثر من غيره من ألوان الأدب لكنك ومنذ 2012 أنتجت ما يقارب عشر روايات فما الذي دفعك للتحول إلى الرواية؟

أجاب العتوم حيث قال: " لم يخطر ببالي يوما أن أصبح روائيا فاكتفيت بالشعر لفترة طويلة لأني وجدت فيه روحي المتعبة والمحلقة والطموحة، لكن المعتقل كان بالنسبة لي نقطة تحول، فقد اعتقلت على خلفية سياسية من سنة 1996 وحتى 1997، وكانت هذه نقطة تحول على أصعدة كثيرة، أولا على الصعيد المعرفي والفكري والنفسي ثم بعد ذلك أصبحت مادة خصبة للخيال، ومن ثم الكتابة فكتبت رواية «يا صاحبي السجن» [1].

إذا فإن توجه العتوم للرواية كان بعد تلك التجربة القاسية التي عايشها في المعتقل إثر توجهه السياسي في فترة معينة من حياته ولكن العتوم قد أبدع في الرواية كما أبدع في الشعر، فكان ذا إنتاج غزير.

مكانته في المجتمع يطمح دوما إلى تخليد سمه وها هوالعتوم قد نجح بفضل قريحته الفذة وكتاباته الرائعة أن يسجل اسمه في سجل التاريخ الخالد على مر السنين.

2. ملخص رواية أرض الله:

" أرض الله " هو العنوان الذي اختاره الشاعر والروائي الأردني "أيمن العتوم" عنوانا لروايته التي استقاها من تلك المخطوطة التي وجدها في ركن منزوفي مكتبة قديمة بجنوب إفريقيا، هي قصة كفاح رجل حارب العبودية بفكره لا بسلاحه.

[1] أيمن العتوم لـ:(ميدان) 2019/03/27.

تقُصُّ الرواية حياة "عمر ابن السيد" هذا الطفل الذي ترعرع وشب في قرية " فوتاتور " بالسنغال، فهو ابن سيد من أشراف قومه، عاش ترف الحياة، فكان وأخته آمنة الولدان الوحيدان لوالديهما، اعتنت بهما الأم، وكرست حياتها لهما فكان الطفل المدلل ورغم ذلك إلا أن والده أنشأه نشأة متزنة، فكان عمر يرى والده كثير التواجد في مكتبته التي تضم العديد من الكتب، كما رآه يستقبل الخطاطين لأيام في بيته حتى ينسخوا كتبا متنوعة في الدين واللغة، فشب عمر عربيا مسلما. يواصل "العتوم" سرد حياة عمر في خط مستقيم منذ الميلاد وحتى الوفاة، ويعرج على جميع محطات حياته وتقلباتها ولعل أول منعرج جعل من عمر يختار حياة الزهد وطلب العلم هو موت أخته "آمنة" التي التهمها التمساح أمام ناظريه في النهر الذي طالما لعبا وسبحا فيه، وكان شاهدا على كل ما عاشه عمر مع أخته. ليتحول البيت إلى مقبرة، فالأم آثرت على نفسها الانزواء في غرفتها محتضنة "حرز" فقيدتها، واضحة جم لومها على الوالد الذي طالما سخر من معتقداتها، والوالد الذي حبس نفسه في مكتبه لا يخرج منه إلا لضرورة. هكذا عم الحزن هذا المنزل، فقد كانت آمنة روحه الخفيفة بضحكاتها وحركاتها الصبيانية، ليدخل عمر في حالة حزن على شقيقته، وكمحاولة منه للهروب من هذا الجو، أخذ طلب العلم ذريعة لذلك، فطلب من والده أن يذهب إلى "توبا" عاصمة المريدين والزهاد طالبا للعلم، باحثا عنه إلا أن الأم الثكلى رفضت ذلك خوفًا على وحيدها، هذا الأخير الذي أقنعها ووعدها بالحضور لزيارتهم دائمًا.

توجه عمر إلى "توبا" ليغير منعرج حياته، من طفل يلعب ويرتع في نهر قريته إلى شاب يبحث عن العلم في جد واجتهاد، ويحكي العتوم في هذا القسم من الرواية عن حياة الزهد التي عاشها عمر في "توبا" وكيف كان يجتهد في طلب العلم في أحداث أطنب في سردها، ليغيب عمر في مدينة المريدين "توبا" عشر سنوات كاملة دون الذهاب لزيارة والديه، إلا بعد إلحاح أبيه الذي أرسل إليه العديد من الرسائل طلبًا في الزيارة كان آخرها أن أخبره

أن والدته مريضة وهي تود رؤيته، يعود عمر إلى " فوتاتور" لتستيقظ ذكريات "آمنة" مرة أخرى على الرغم من أنها كانت حاضرة دائما، ولكن النهر يهيجها ويشعره أن جراحها جديدة لم تندمل. يمكث عمر أياما في زيارة والدَيْه اللذَيْن أصابهما الوهن والكبر لفراق ابنيهما، ليقرر بعدها العودة إلى "توبا" مرة أخرى إلا أن والدته رفضت ذلك وبشدة هذه المرة، بل واقترحت عليه الزواج، فما كان من عمر إلا أن وعدها أنه لن يطيل غيابه هذه المرة، وعند عودته سيترك لها حرية اختيار زوجة له.

يعود عمر إلى "توبا" ويستقر فيها عشر سنوات أخرى طالبا للعلم إلى أن صار أحد معلميها في هذه الفترة، كانت الحروب مع المستعمر فكان الشيخ يختار بعض المجاهدين من تلاميذ المدرسة لمناصرة إخوانهم، وكان يبني أفكار التحرر في نفوس وأذهان طلابه، حيث يقول لهم أن التحرر لا يكون بالسلاح إلا إذا كان هناك تحررٌ فكريٌّ.

بعد مكوثه هذه المدة عاد "عمر" إلى قريته " فوتاتور" ليستقر مع والديه وتختار له أمه زوجة كما وعدها، بعد زواجه بخمس سنوات حملت زوجته وكانت سعادة العائلة كبيرة بهذا الحمل، وفي إحدى الليالي سمع عمر هسيسًا وحسيسًا، وعندما خرج من مخدعه وجد رجالاً مدجَّجِين بالسلاح في بيته إنهم الفرنسيون والبعض من الزنوج بني بلدته، قتل هؤلاء والده ووالدته أمام عيني "عمر" واقتادوا زوجته إلى وجهة مجهولة، وأسروا عمر مع مجموعة من الأخرين، واقتادوهم إلى جزيرة مجهولة، ليمكثوا في مستودع فوق 100 شخص، واقتيدوا بعدها إلى الباخرة التي كانوا لا يعرفون وجهتها، ولكن عمر أدرك هنا أنه فقد حياة الحرية وألبس ثوب العبودية.

يحكي لنا "أيمن" في القسم الثالث من الرواية عن حياة عمر في هذه الباخرة التي كانت تشق أمواج المحيط، وكيف كان ذلك الرجل الأبيض يسجنهم في قاع الباخرة بأعداد كبيرة،

وكيف أنهم كانوا يرمون لهم الحساء الساخن من شقوق هذه الغرفة التي تقع أسفل الباخرة، وكيف كان يعيش أياما مع جثة حتى يتكرم الرجل الأبيض ويأتي لإخراجها، فقد وصف العتوم في هذا القسم قمة قسوة الرجل الأبيض التي مارسها مع هؤلاء الزنوج، لترسو السفينة في المحطة الأخيرة وهي "تشرسون" في الولايات المتحدة الأمريكية، ليباع هناك في سوق النخاسة ويكون نصيب السيد "جونسون" هذا الأبيض الظالم، ليعيش عمر في كنف خدمته مستعبدا في مزارع القطن والتبغ بولايتي كارولينا الجنوبية وكارولينا الشمالية .

إلا أن عمر رفض هذا الاستعباد وأراد التحرر من ظلم هذا الرجل فحاول مرتين الهروب إلا أنه فشل في ذلك ليذيقه السيد "جونسون" أشد العذاب لذلك. ولكن عمر لم ينأ عن ذلك بل حاول مرة أخرى، ونجح هذه المرة وبقي هاربا شهرا كاملا، ولكن في الأخير تم اقتياده إلى السجن. بعد ظهور العديد من حركات التحرر التي قادها الزُّنوج ؛ "عمر" لم يبقَ في السجن مكتوف اليدين بل إنه أخذ من جدران هذا السجن سبورة لنزلائه، فكان يعلمهم اللغة والقرآن، بل إن بعض الزنوج أسلموا على يده، فعلمهم تعاليم الدين ومبادئه، ليدخل الزنزانة محام رصدته المحكمة للدفاع عن الزنوج ويشاهد سُبّورة "عمر" فتبهره، ويحدث صديقه "جيم" عن ذلك، وعندما تضع المحكمة "عمر" في مزاد للبيع يقوم السيد "جيم" بشرائه وينتقل للعيش في مزرعته، بعد أن وافق على سرط عمر وهو تخليص عائلة "جون" صديقه من العبودية عند السيد "جونسون". ليواصل العتوم في القسم الخامس من الرواية الحديث عن العبودية في كنف السيد "جيم" الذي كان رجلا مثقفا وحنونا، فقد كانت لقاءاته مع عمر لا تنتهي ومناقشاته معه مستمرة فذلك يدعوا إلى المسيحية مناصر لها، وهذا متشبث بفكره الإسلامي العروبي. إلا أنها كانت حربا فكرية، فكل منهما يبرز أفكاره وقناعاته؛ خص السيد "جيم" عمر بغرفة خاصة ووفر له أوراقًا وأقلامًا، فبدأ عمر بكتابة "القرآن" وأهداه للسيد "جيم" ثم كتب مذكراته وكتابين آخرين.

كان ابن السيد "جيم" رجلا متسلطا عنصريا، قام بحرق مكتب "عمر" ولم ينج منه إلا بعض الأوراق من مذكراته، ولكنه أعاد كتابتها مرة أخرى. ليواصل العتوم الحديث عن حياة عمر، وكيف كانت مع نجل السيد "جيم" الظالم الذي أذاق العبيد أشد أنواع العذاب، ويستمر في سرد الأحداث في كنف هذا الظالم ويصور لنا الوحدة التي عايشها عمر في كوخه إلى أن توفي وحيدا.

الفصل الأول: تسريد الهوية في مرحلة تشكل الشخصية:

المبحث الأول: محددات الذات الشخصية في الرواية

المطلب الأول: البعد الروحي والديني

المطلب الثاني: البعد الاجتماعي والثقافي

المطلب الثالث: التجربة الشخصية والتطور النفسي

المبحث الثاني: تسريد الأمان في مرحلة تشكل الشخصية

المطلب الأول: محددات الأمان في مرحلة التشكل

المطلب الثاني: محددات الأمان وتأثيرها على تكوين الشخصية

المبحث الثالث: تسريد المكان في مرحلة تشكل الشخصية

المطلب الأول: فوتاتور كرمز للبحث عن الهوية

المطلب الثاني: توبا كرمز للتأمل والتغيير الروحي

يقصد بمصطلح" تسريد الهوية "" في مرحلة تشكل الشخصية الطريقة التي يستخدم بها السرد أو القصص لبناء هوية شخصية ما، خصوصا في مراحل النمو والتطور كالمراهقة وبداية الشباب «يكون المراهق في مرحلة تساؤل تصاحب نموه الجسمي ونضجه الجنسي ومن خلال تحقيق الذات وتحديد الهوية والاهتمامات يحقق هذا المراهق ذاته، وقد يهدد اضطراب الدور إذا شعر بعدم إثبات ذاتيته»[1] فيبدأ في صياغة قصة من خلال طرح أسئلة: من هو؟ ومن أين جاء؟ ماذا مر به؟ وما الذي يريده في المستقبل؟

ففي هذه المرحلة يصبح السرد أداة مهمة لفهم الذات وربط التجارب ببعضها البعض أو باسترجاع أحداث من الماضي وربطها بسياق تطوره النفسي والاجتماعي وقياس مدى نجاحه في تلك التجارب أو فشله، وهذا ما ساعد على تشكل هوية متماسكة ومتوازنة، أو العكس قد يؤدي إلى تشتت الهوية في حال كانت القصة الذاتية مليئة بالتناقضات وغير ثابتة.

[1] ينظر:Peler cozen ، **البحث عن الهوية "الهوية وتشتتها في حياة إيريك إيريكسون وأعماله"، تر** سامر جميل رضوان، دار الكتاب الجامعي، (ط . 1)، العين، الإمارات العربية المتحدة، 2010، ص 239.

المبحث الأول: محددات الذات الشخصية في الرواية

سبق وأن تطرقنا إلى محددات الهوية والتي ترتبط بمحددات الذات الشخصية ارتباطا وثيقا سواء كانت محددات فيزيائية أو عناصر تاريخية وكذلك نفسية وثقافية وأسس اجتماعية والتي تعد «ركائز الإنسان التي تمثل كيانه الشخصي والروحي والمادي بتفاعل صورتي هذا الكيان لإثبات هوية أو شخصية الفرد أو المجتمع أو الشعوب، بحيث يحس ويشعر كل فرد بانتمائه الأصلي لمجتمع ما، يخصصه ويميزه عن باقي المجتمعات الأخرى»[1]

«إلا أن الهوية غالبا تحدد بثلاث عناصر أساسية هي:

العقيدة التي توفر رؤية الوجود

واللسان الذي يجري التعبير به

والتراث الثقافي الطويل المدى»[2]

وفي رواية" أرض الله "لأيمن العتوم قصة البطل السنغالي" عمر بن سيد" نموذجا جيدا لتسريد الهوية في مرحلتين مهمتين من حياة عمر.

أما المرحلة الأولى في السنيغال وهي مرحلة تشكل شخصيته في فترة ما قبل العبودية، مرحلة الثبات والقوة والحرية كما يمكن أن نسميها، في هذه المرحلة نجد أن السرد كان أداة مهمة لفهم ذات عمر، وربط تجاربه ببعضها من خلال استرجاع عمر لأحداث مر بها في مرحلتي الطفولة والمراهقة ساهمت في بناء شخصيته ورسمت معالم ذاته.

---

[1] زغو محمد، **(أثر العولمة على الهوية الثقافية للأفراد والشعوب)**، الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، جامعة الشلف الجزائر، العدد 4، 2010، ص 94.

[2] جاسم بن محمد بن المهلهل الياسين، **الهوية الإسلامية**، شركة السماحة للطباعة والنشر والتوزيع، (ط . 1)، الكويت، 2012، ص 10.

المطلب الأول: البعد الروحي والديني

للبعد الروحي والديني أثرا عميقا في تشكل الذات خصوصا لدى المجتمعات المحافظة، فالذات تحتاج إلى جانب عقائدي يغذي الروح ويكون هذا في الشرائع السماوية، ونخص بالذكر الدين الإسلامي من خلال عبادة الله وأداء واجب العبودية للمعبود وحده دون غيره بالمحبة والانقياد والطاعة والخضوع «وهو في جوهره الشعور الباطني الذي يتعلق به المخلوق بخالقه دون شك، وقوامه المحبة لله وحده والطاعة لأوامره والانتهاء عن نواهيه، بل إن كل ما يفعله العبد في علاقته بمعبوده، إن هو إلا ترجمة لهذا الشعور الباطني الذي يربطه به»[1].

وقد تم تجسيد هذا البعد الروحي والديني في عقيدة البطل عمر بن السيد في رواية أرض الله، وكان للجانب العقائدي والتنشئة الإسلامية أثرا بالغا في تشكل شخصيته في مرحلتي طفولته وشبابه، فتمثل ذلك في تعلقه الشديد بالدين الإسلامي من خلال حضور القدوة المتمثلة في الأب، والذي كان رمزا للمسلم الملتزم بتعاليم الدين والحرص على تطبيق الشرائع، من خلال نسخ المخطوطات والكتب والنسخ من القرآن الكريم بتسخير خطاطين من كل البقاع وإغرائهم بالأموال والهدايا لضمان إنجازهم للمهام في أسرع وقت، وكان كل هذا على مرأى ومسمع عمر الطفل «كان على الأول وهو الذي رأيت أبي يقبل يده أن ينسخ القرآن والثاني أن ينسخ ألفية ابن مالك مع شرح ابن عقيل لها»[2].

كما أنه حرص على حفظ القرآن منذ نعومة أظافره، وكان لشقيقته آمنة الدور البارز في تشجيعه بالاستظهار والمنافسة، فالبيت المحافظ والتنشئة الإسلامية والتمسك بتعاليم الدين من احتفالات بالمناسبات الدينية كالأعياد والسهرات مع المدائح الصوفية والجلسات الروحية،

---

[1] ينظر: الجزار (أحمد محمود)، **دراسات في التصوف الإسلامي**، دار الوفاء، الإسكندرية، (ط. 1)، مصر، سنة 2015، ص18.

[2] أيمن العتوم، **أرض الله**، الإبداع الفكري للنشر والتوزيع، (ط. 1)، الكويت، 2020، ص24.

التي كان لها دورا بارزا في تشكيل ذات عمر ورسم شخصيته وتغذية روحه وتحديد هويته الإيمانية «أما صلوات الجماعة فكانت غالبا ما تتم في مسجد قريتنا القديم، ومسبحة وفيها تسع وتسعون حبة من الخرز الخشبي، رافقتني فيما بعد، وجبة من تلك التي يلبسها أبي وعمامة»[1]. كما كان لتوبا وللمدرسة الصوفية التي انضم إليها عمر أثرا بالغا في تحديد ذاته وتكوين شخصيته الزاهدة وروحه المتشبعة بالإيمان، فقد احتك بمعلمي القرآن وطلبة العلم وتفرغ للعبادة والتصوف لعشر سنوات كاملة صقلت شخصيته، وسمت بروحه في رحاب الإيمان والتصوف.

نهيكا عن تسمية العتوم لبعض فصول روايته بآيات من القرآن الكريم على غرار "عم يتساءلون " و"فإذا فرغت فانصب " كتسريد للهوية العقائدية وترسيخها.

كما تعد اللغة كمقوم بدرجة الثانية بعد الدين في تحديد هوية الذات وبنائها، خصوصا اللغة الأم بالنسبة للطفل، كما أنها عامل مميز لثقافة شعب ما عن غيره من الشعوب.

فقد كان للغة العربية باعتبارها رمزا من رموز الهوية الإسلامية، ولغة القرآن الكريم تواجد كبير في طفولة عمر «فهي ليست مجرد أداة تعبير ووسيلة تخاطب، وإنما هي: الفكر والذات والعنوان، بل ولها قداسة المقدس، التي أصبحت لسانه بعد أن نزل بها نبأ السماء»[2] وقد حرص أيمن العتوم على إبراز اللغة العربية في تسريد الهوية كجزء من هوية البطل، بالرغم من كونها ليست اللغة الأم لعمر، إلا أنها رسخت محددات الهوية العربية والإسلامية بحضورها القوي في مرحلة تشكل الشخصية من خلال حرص الأب على تعليم عمر الطفل الخط العربي، وحفظ بعض الدواوين الشعرية ومطالعة أمهات الكتب، مما يعكس هوية عربية

---

[1] أيمن العتوم، **أرض الله**، ص30.

[2] جاسم محمد بن المهلهل الياسين، **الهوية الإسلامية**، ص11.

متجذرة في ذات عمر حيث جاء على لسان عمر على سبيل السرد الذاتي «تعلمت حروف العربية بسرعة، وحفظت كثيرا من القرآن بسهولة»[1].

المطلب الثاني: البعد الاجتماعي والثقافي

ويتمثل في العادات والتقاليد والإيديولوجيات التي تتبناها مجموعة ما وتمارسها، فتميزها عن غيرها من المجتمعات وهي «تمثل كل الجوانب الحياتية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية والحضارية والمستقبلية لأعضاء الجماعة الموحدة التي ينتمي إليها الأفراد بالحس والشعور الانتمائي لها»[2].

تبين هذا في مجموعة من الأسس والمميزات التي نشأ عليها عمر وشكلت هويته الثقافية مثل: الأسرة والمجتمع واللغة والتقاليد.

أما عن الأسرة والمجتمع فقد نشأ بطل رواية "أرض الله ""عمر بن السيد"" في أسرة محافظة وميسورة الحال، مما عزز في ذاته قوة الشخصية والثقة بالنفس، فالطفل الذي ينشأ عادة في كنف أسري متماسك ويترعرع بين أفراد أسرة متحابة ومتلاحمة تكبر فيه روح الانتماء للعائلة المصغرة وللمجتمع ككل حيث« يلعب المجتمع دورا بارزا في التأجيل أو التعجيل بتحقيق الهوية [...] حيث يفترض أن الوالدين ربما يدعمون عمليات نمو الهوية من خلال إمدادهم لأطفالهم بالأمان العاطفي (التقبيل والتعاطف والرفقة)، وذلك من خلال المظاهر السلوكية التي توضح هذه العمليات »[3]، يقول عمر عن بيته‹ كان بيتنا مفعما بالحياة، كان يزورنا كثير من العلماء أصدقاء أبي، وكان يزوره أعيان القرية، وأعيان قادمون من مدن شتى›[4] تسريد مثل هذه اللحظات من طرف الروائي أيمن العتوم يعطي للقارئ تصورا لطبيعة الحياة

---

(1) أيمن العتوم، **أرض الله**، ص 25.

(2) زغو محمد، **أثر العولمة على الهوية الثقافية للأفراد والشعوب**، (د. ط)، (د. ت)، ص 94.

(3) محمد السيد عبد الرحمن، **نظريات الشخصية**، دار قبى، (د. ط)، القاهرة، 1998، ص290.

(4) أيمن العتوم، **أرض الله**، ص 21.

الاجتماعية التي نشأ عليها البطل، فالبيت الذي يزوره الأعيان والأشراف ويقصده العلماء من كل مكان، فيلقون الترحيب والإكرام ليس ببيت عادي بل هو بيت من بيوت الأسياد وأشراف القوم وهذا يجعلنا نستنتج أن للعائلة والمجتمع المحيط بعمر دور كبير في رسم معالم الذات وتشكلها وتعزيز هويته الإسلامية المحافظة، والتي تكرم الضيف وتقدم الولائم وتحتفي بالعلماء والأشراف.

كما تجلت معالم الهوية الثقافية في اللغة والتقاليد، فاللغة كما ذكرنا آنفا وإن كانت جزء من الهوية الإسلامية والعقائدية، فهي أيضا جزء مهم من الهوية الثقافية الاجتماعية، «فاللغة على رأي سوسير حدث اجتماعي يرتبط بتوكيده أن كل عضو من الجماعة الكلامية يمتلك اللغة على نحو مطابق»[1]

فتعد اللغة العربية جزء أساسي من شخصية عمر ولها دور كبير في تشكل هويته في مراحله العمرية الأولى، حيث أولى العتوم عناية بالغة باللغة العربية وتسريدها كمحدد لهوية عمر بن السيد، وتجلى ذلك في ذكر المعلقات والمخطوطات وأمهات الكتب كألفية بن مالك وشرح بن عقيل «ينسخ القرآن والثاني أن ينسخ ألفية بن مالك وشرح بن عقيل لها والثالث المعلقات وأرجوزة أبي العتاهية»[2].

في حين تجلى تسريد التقاليد والعادات من لباس وطعام وممارسات يومية كجزء من الهوية الثقافية التي نشأ عليها عمر وساهمت في تشكيل شخصيته نذكر منها على سبيل الاقتباس «عندما تكبر، سيكون عليك أن تحمل السيف في قرابه، وأن تضع العمامة على رأسك»[3] وكذلك المسبحة وجبة الصلاة كجزء من الهوية الإسلامية، أما عن تربية الخيل

---

[1] جون جوزيف، **اللغة والهوية (قومية إثنية دينية)**، تر: عبد النور خراقي، عالم المعرفة، (د-ط)، الكويت، 2007، ص64.

[2] أيمن العتوم، **أرض الله**، ص24.

[3] المصدر نفسه، ص46.

العربية الأصيلة فهي جزء من حياة عمر، فقد كان يملك والده إسطبل خيل ومضمار تجرى فيه مسابقات فروسية.

كما أن العمامة والسيف يعدان جزء من الهوية الثقافية للمجتمع الإسلامي وتنشئة الصبيان وإعدادهم لحمل راية الجهاد والدفاع عن الوطن، من تعلم الفروسية وفنون القتال، امتثالا لقوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُو ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾ الأنفال الآية 60

أما عن اللون الذي يعد إحدى المقومات الأساسية للهوية، فقد حرص العتوم على تسريده وتصويره كرمز فخر وإعجاب بالنسبة لعمر كدليل على اعتزازه بهويته الإفريقية الزنجية من سواد البشرة وجعود الشعر، فوصف آمنة بملامحها الزنجية الجميلة والفاتنة «وكانت تضحك، ولضحكتها سحر آخر، فلقد كانت الشفتان الغليظتان تفتران عن صف من اللآلئ البيضاء شديدة البياض، كأنها در صاف، لا يخالط بياضها الناصع أي شائبة، وكان شعرها جعدا لكنه طويل، وأمي كانت تظفره لها ضفائر متعددة، وكان هناك بعض السواد الغامق تحت عينيها، في التجويف الذي يلي أسفل الجفن»[1]

فقد سرد العتوم الجانب الثقافي للهوية الإسلامية من خلال ترسيخ معالمها في تعليم عمر لركوب الخيل وحرص عائلته على إتقانه للفروسية منذ صغره ‹وكان اختبار استحقاق الشهادة التي كانت مجرد كلمة من أختي بأنني (فارس)، يتطلب عدة أمور علي أن أجتازها»[2]

---

[1] أيمن العتوم، **أرض الله**، ص39.

[2] المصدر نفسه، ص 47.

كل هذه المكارم صقلت شخصية عمر وشكلت هويته، فقد كان يرى كل هذه العادات والقيم الإسلامية تمارس من قبل أسرته ومجتمعه، سواء في الأيام العادية أوفي المناسبات والأعياد.

المطلب الثالث: التجربة الشخصية والتطور النفسي

كان للجانب الروحي والعقائدي، وكذلك للرابط الأسري والمجتمعي القوي الذي حظي به عمر أثرا بالغا في تكوين ذاته وتشكل شخصيته، واكتمال معالم هويته رغم حداثة سنه إلا أن أول صدمة نفسية تعرض لها، وهو في عمر العاشرة، حين شاهد شقيقته آمنة وهي تلفظ آخر أنفاسها بين فكي التمساح، ولم يستطع أن ينقذها منه.

يقول عمر ساردا المشهد: «فغر فاه بأوسع ما يكون وهوى بفكيه على رجليها، والتقمها في لحظة، نفر الدم، فار، ملأ أشداقه، وانساب مع الماء، فشكل بقعة قانية ...»[1]مر عمر بلحظة صمت وفراغ عجز فيها عن الحراك لهول ما رأى، فالصمت السردي هنا عكس حالة عمر النفسية، ففي زمن وجيز مرت لحظة قصيرة، ولكنها عميقة في ذات عمر هدمت عشر سنوات من حياته، وأحدثت خلخلة قوية بذاته وانشطارا بهويته التي كانت آمنة أسمى مقوماتها.

تلك اللحظة التي لم يتمكن عمر من تجاوزها، قد أحدثت شرخا نفسيا في ذات عمر، خاصة أن آمنة كانت رمزا للحب والأمان بالنسبة له حيث يصفها بأنها الداعم النفسي وأن ذاته تشكلت بدعم منها «كنت لا أزال طفلا، ولكن بسبب هذه النظرة الودودة وهذه الكلمة

[1] المصدر نفسه، ص86.

الصادقة من أختي، هل تصنعنا الكلمات؟ نعم، أنا كنت من الذين تشكلت رؤاهم وأرواحهم، وحتى حركات أجسادهم على إيقاع تلك الكلمات الطيبات»[1]

فقدان آمنة وبتلك الصورة المرعبة كان انشطار لذاته «فالشعور القوي بالصدمة، يجعل المصاب لا يستطيع الكلام، أو التعبير عما مر به، خصوصا إن كانت الصدمة قوية جدا لدرجة الإحساس الداخلي بالسحق، وفقدان الذات»[2]

هذه الأزمة والتفكك الذي واجهته ذات عمر لم تجعله يستسلم، فالتكوين الروحي والوجداني الذي ساهم في تشكيل هويته، وبناء ذاته كان حصنا ودافعا لاستمراره، العقيدة الثابتة التي نشأ عليها عمر جعلته يصبر على الابتلاء والمصيبة التي ألمت به، « فمنهج الشريعة الإسلامية يجد فيها تفسيرا للصدمة النفسية واضطراباتها، فالمصائب والابتلاءات والكروب الناتجة عنها تعرضت لها الشريعة الإسلامية، كما أن الإيمان بالقضاء والقدر خيره وشهر والموت والابتلاءات هي إيمان حق يجب التسليم به، وتقبله»[3] لقوله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّن ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِين ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُون ﴿١٥٦﴾ أُولَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾سورة البقرة

توجه عمر بعد هذه الصدمة إلى توبا المدينة الروحية كما يجدر تسميتها، حيث المدرسة القرآنية والسلام الروحي في رحلة بحث عن ذات جديدة متمردا على كل القيود من صغر سنه ورغبة والديه في بقائه بجانبهما وحرصهما على سلامته وكذلك مرض أمه، كل هذه المثبطات والعوائق لم تثني عزيمته، فكسر المألوف في قطعه أميالا بمفرده رافضا طلب

---

(1) المصدر نفسه ص 48.

(2) ينظر: حسين عماد، مقال **(اضطراب ما بعد الصدمة)**، ص1.

(3) جبران بن داحش علي محرزي، مقال **(اضطراب ما بعد الصدمة وعلاقته بقلق المستقبل)**، الهيئة القومية لضمان جودة التعليم، مجلة إدارة البحوث والنشر العلمي، المجلد 37، العدد7، يوليو2021، ص140.

والده في مرافقة حراس له، هروب عمر من كل شيء يذكره بصورة آمنة وهي بين فكي التمساح، هروبه من النهر الذي كان مصدر أمن وسلام ليتحول لمصدر رعب لا يمكن نسيانه، وهروبه أيضا من "فوتاتور" التي لم تعد تنتمي لذات عمر وانشق عنها.

وفي" توبا" حيث التقى بشخصيات من معلمي القرآن وطلبة العلم غيرت نظرته للوجود، وتعرض لتدريب نفسي وجسدي صعب جدا، صيام شبه دائم وتقشف وأعمال شاقة صقلت ذاته وروضت نفسه، وجعلته جلدا قوي البنية رهيف الإحساس زاهدا في الدنيا وملذاتها، يصف عمر حاله والطلبة زملائه ذات ليلة من ليال توبا فقال: «وجعنا مرة، كان يوما من أيام الصيف اللاهبة، وما كان أحد من أهل القرى القريبة أو البعيدة يجرؤ أن يخرج في نهار من شدة الحر، ولا في ليل خوف السباع المفترسة، ومكثنا على حالنا لا نجد إلا الماء اليسير نسد به رمقنا»[1].

هذه التجربة الروحية ساهمت في بناء هوية عمر الجديدة، حيث جعلت منه رجلا ناضجا يدرك أن الرحلة الداخلية للذات والتوازن الروحي أهم من أي شيء دونه، وأعدت ذاته لآت أشق وأصعب.

[1] أيمن العتوم، **أرض الله**، ص115.

المبحث الثاني: تسريد الأمان في مرحلة تشكل الشخصية

يشير مصطلح "تسريد" في هذه المرحلة من مراحل تشكيل هوية البطل "عمر بن سيد" إلى المراحل المختلفة التي عايشها لتكوين الشخصية حيث بنت هذه المراحل الصفات الداخلية لهويته الإنسانية، وهي المرحلة التي امتدت من طفولته في "فوتاتور" وحياته في قريته بجانب النهر إلى مراحل الشباب ودراسته في "توبا" مدينة الزُّهاد فهي مرحلة الانتقال من الطفولة البريئة إلى شخصية متكاملة تعي الواقع والصراع الذي يحدث في موطنه لمحاربة الرَّجل الآخر (الأبيض) وتلك الظروف القاسية التي عايشها هو وزملاؤه في "توبا"، فهي الشخصية التي نتجت من خلال تشابك وتفاعل هذه الظروف الاجتماعية والاقتصادية وكذا السياسية والدينية، فجعلت منه ذلك الشَّاب المؤمن القادر على محاربة الظلم والدَّعوة إلى مقاومة الاستبداد من خلال طلب العلم والاجتهاد فيه.

فالهوية تتشكل عبر الذات التي تتجسد من خلال انتماءاتها ومكوناتها، والتي تتعلق بالجنس والعمر والطبقة الاجتماعية والموروث الثقافي، هذا الأخير الذي يشكل حجر الأساس في تشكيل الهوية، «فهي تشمل كل الثوابت التي تشكل الروح والوعي وتسعى النفس البشرية إلى إثباتها وإرساء قواعدها ومقوماتها»[1].

المطلب الأول: محددات الأمان في مرحلة التشكيل

تعتبر مرحلة الطفولة هي اللبنة الأساسية في تشكيل شخصية "عمر بن السَّيد" في روايتنا "أرض الله" وتظهر هذه القاعدة من خلال مجموعة من محدِّدات الأمان التي أثَّرت في تكوين شخصية "عمر بن السَّيد".

---

[1] ينظر: هدى عبد الله أبوالمعاطي، **(السرد الروائي وإشكاليات الهوية عند عزة القمحاوي)**، كلية العلوم والآداب الإنسانية، العدد39، الجزء3، ص120.

قبل البدء في تعداد محدِّدات الأمان التي شكَّلت شخصيَّة عمر في النَّص الرِّوائي "أرض الله" وجب علينا أن نحدد مفهوم المحدِّدات، ونبرز كيفيَّة انعكاسها على شخصيَّة عمر وتشكيلها له فالمحدِّدات جمع محدِّد وهو كل ما كان معينًا ومحكمًا ودقيقًا، إذا فإن هذه الشَّخصيَّة حتى تتكوَّن ملامحها وتبرز هناك عدّة تفاعلات تتم وفقها، تكون سببًا رئيسًا في تشكل هذه الشَّخصيَّة وتبلورها، فلكل شخصية ملامح ومحدِّدات خاصَّة بها، و«هذه المحدِّدات تراكمت عبر التَّاريخ لتشكِّل لنا الهوية، وتشمل كل من الدِّين والعادات والتَّقاليد، التَّاريخ والتُّراث »[1]، هذا الأمر الذي سنحاول معالجته في هذا البحث.

1. العائلة:

من خلال تصفح الرِّواية تظهر لنا تلك العلاقة الحميمية التي تربط عمر بأفراد أسرته، فعلاقته بوالديه لعبت دوراً أساسياً في توفير البيئة الآمنة التي تدعم نموه الفكري والجسدي، فبحكم أن عمر الابن الوحيد لوالديه كان له مكانة خاصة في نفسهما، وحباً كبيراً كانا يعبران عنه بطريقتهما الخاصة: «كانت أمي تبالغ في الخوف علينا، وسمعت أبي يقول لها ذلك أكثر من مرة: إن هذا الحرص لن يصنع من آمنة امرأة قادرة على إدارة شؤون بيتها وزوجها وأطفالها في المستقبل، ولن يصنع من عمر رجلاً شجاعاً وقوياً »[2]، فالأم كانت تبالغ في حرصها على وحيديها، وتبالغ في حمايتهما وخوفها عليهما من كل ما من شأنه أن يصيبهما بمكروه كيف ما كان، وكان الأب هو الأمان الذي يحتمي عمر به: « كان لدينا سماء عالية

---

[1] نهاد خلوف، **ملامح الهوية في رواية سيدات زحل**، مجلة المخبر، أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، المجلد 17، العدد 1،2021، ص70.71.

[2] أيمن العتوم، **أرض الله**، ص17.

ومسالمة، فكان لدينا حلم، كان لدي أخت فكان لدي رأفة، كان لدي أم فكان لدي رحمة، كان لدي أب فكان لدي أمان »[1].

فالرواية تظهر تلك العلاقة الأسرية الحميمية التي كانت تحيط عمر بالرِّعاية الأبوية وكذا التوجيه الناضج، فكان الأمان الذي يبحث عنه الجميع، أما علاقته بأخته آمنة فهي تلك العلاقة الروحية المتكاملة، فقد كانت علاقتهم شبيهة بعلاقة أسنان المشط فكل جزء منهما يكمل الآخر فآمنة بحكم أنها تكبر عمر ثلاث سنوات كانت تغرس فيه حب المغامرة والحياة، فكانت منطلقة تبحث عن التحرر والانطلاق، فعلمته مهارات حياتية مثل ركوب الخيل والسِّباحة ومقابل ذلك يعلمها عمر ما يحفظ من قرآن وكتابة وقراءة، الأمر الذي رسَّخ لدى عمر شعوره بالأمان والاستقرار النفسي: «وأراد أبي أن يأتي بسائس كي يدربني على ركوب الخيل ...لكن أختي اعترضت وقالت لأبي: أنا أدربه لن يكون السائس أمهر مني ولا أحرص مني على أخي أنا سأفعل»[2] .

فقد كانت علاقة عمر بأخته آمنة علاقة رائعة، فيصف لنا أيمن مدى عنايتها بعمر وكيفية تدريبه على ركوب الخيل، وكذا إحاطته واحتوائه خاصة بعد سقوطه من على ظهر الحصان، وكيف اعتنت به وسهرت بجانبه كأنها أمه الرّؤوم التي تجالس رضيعها المريض، وتحنو عليه وتخفف عليه آلامه بالعناية والكلام الحلو الإيجابي الذي جعله يتخطَّى تلك الحادثة ويتعدَّاها.

---

[1] المصدر نفسه ، ص19.

[2] المصدر نفسه، ص44 .45.

2. التعليم الديني والثقافي:

كان للنشأة الدينية التي نشأها عمر في طفولته دوراً أساسياً في تشكُّل شخصية عمر، وإحساسه بالأمان الذي يحيط به، فلقد حفظ عمر القرآن الكريم وتعلَّم اللغة العربية والدينية في سنٍّ مبكِّرة، الأمر الذي عزَّز ثقته بنفسه ومنحه شعوراً بالانتماء والهويَّة: «كانت المخطوطات عالمي المسحور والغامض، سعيت منذ سنواتي الأولى إلى اكتشاف مجاهله والسَّير في دروبه ومنعرجاته»[1].

يشرح لنا أيمن العتوم في هذا الفصل من الرِّواية والذي عنونه بـ"أقدارنا في صفحة الغيب مكتوبة" عن علاقة عمر بالمكتبة التي كانت متواجدة في بيت عمر، وكيف كانت علاقة عمر بتلك الكتب والمخطوطات وتلك الطُّقوس التي يطبِّقها عمر إذا ما أراد أن يطالع أحد هذه المخطوطات، فلا يمكن له أن يمسك الكتاب أو المخطوط هكذا بشكل مبسَّط، بل هناك جلسة ملائمة للاحتفاظ بالكتاب: « لا تدخلا إليها إلَّا وأنتما متوضِّئان، لا تمسكا بالكتاب إلَّا بكلتا يديكما، كما تمسك الأم الرَّضيع بين يديها، قبِّلا أي كتاب قبل أن تشرعا بالقراءة منه أو حتَّى بالنَّظر فيه أتلو الآيات الخمس الأولى من سورة الرَّحمان قبل أن تشرعا بقراءة الصفحة الأولى ... ».[2]

كبر عمر على حب الكتب والمخطوطات التي شاركته فيه أخته آمنة فكثيراً ما كانا يختليان في غرفة مكتبة أبيهما لمطالعة مخطوط معين، وكانا الطفلان يجالسان الخطَّاطين الذين يحضرهم الوالد كل سنة ليمكثوا مدة من الزمن لنسخ الكتب والمخطوطات وكذا للتدبر في الآيات القرآنية والقراءات المتعددة، وحتى عندما كبرت آمنة ومنعها والدها من مجالسة

---

[1] المصدر نفسه، ص31.

[2] أيمن العتوم، **أرض الله** ، ص33.

الخطَّاطين عكف "عمر" على نقل ما تعلمه لأخته التي كانت تتوق مثله إلى طلب العلم والشغف به.

لقد نشأ عمر على حب اللغة العربية والتفاخر بها: «ولربَّما أتى أبي بفرقة في آخر خميس من كل شهر يغنون أغاني بالعربية أحيانا وباللهجة المحلية أحيانا أخرى، ولقد حفظت من أغانيهم:

لا سكن الله قلبا عن ذكركم ... فلم يطر بجناح الشَّوق خَّفاقًا

لوشاء حملي نسيم الصَّباح حين سرى ... وأفاكم بفتى أضناه ما لاقى»[1]

فقد كان الوالد سخيًّا مع هؤلاء الخطَّاطين، محِبًّا للغة والدين، فكان يعرض المكافئات عليهم أمام مرأى ابنه الذي غرست في نفسه حبِّ هذا الدِّين وهذه اللغة الشريفة: «ولقد سمعت أبي يقول لأحدهم ذات مرة لو استطعت أن تنسخ تفسير القرطبي للقرآن فسأعطيك وزنه ذهباً»[2].

ينتقل عمر إلى الحياة في توبا هذه المدينة التي غرست فيه الزُّهد، وحبِّ الدِّين واللغة وتشكلت تلك الشخصية العالمة، فيطيل العتوم في سرد الحياة في توبا، وكيف كان يستيقظ عمر مع أقرانه باكرًا حتى يجلس مع شيوخه في حلقات التَّفسير والحديث والسيرة النبوية، واللغة العربية وآدابها، بل ويستطرد أيضا في ذكر المتون والمخطوطات التي كان عمر مطالب بحفظها ونسخها، وهي الحياة التي يسردها العتوم في الرواية على مدار الفصول المتتالية ليشرح لنا حياة عمر في توبا، وكيف ساعدت حياة الزهد في صقل شخصيته وتكوينها: « كنَّا نقوم الليل، لم تمر ليلة دون أن يكون المسجد عامرًا بالقائمين، وكنا نختار من بيننا أجمل أصواتنا، وكنت أحدهم فلم يمر شهر على مكوثي هنا حتى صرت إمام

---

[1] المصدر نفسه ، ص26.

[2] المصدر نفسه، ص26.

بعض الصلوات في الهزيع الأخير من الليل، ثم بعد سنة قدمني الشيخ "ديا" فصرت مؤذن صلاتي الظهر والعصر ...أطول الناس أعناقًا»[1].

3. البيئة الاجتماعية والثقافية:

من المعلوم عن العلاقات الاجتماعية تساهم بشكل كبير في تشكيل الشخصية وتطورها، وكذا الثقافية منها.

فعمر لم يكن كغيره من أطفال "فوتاتور" بل كان ابن سيدهم، فكان الجميع يحبُّه ويقدِّره لمكانة والده في القرية التي يسكنها؛ فالصَّيادون كثيرًا ما يقدِّمون له قطع الخبز لأنّه ابن سيِّدهم و وحيده: «كان الصَّيادون يعرفونني ويهتمُّون بي، ويعطونني بعض الخبز أحيانًا والحلوى، تقديرًا لأبي»[2].

كان منزل الأب مفعمًا بالحياة، كثير الضيوف من العلماء والأصدقاء، وكان وجهة أعيان القرية ومترفيها، بل ووجهة الأعيان القادمون من مدن أخرى: « وكان يزوره أصحاب الطريقة وأهل الضِّفة كما كان يسمِّيهم »[3] هؤلاء الذين كانوا يجتمعون في حلقات للذكر، وكان عمر الطِّفل الوحيد الذي يحِقُّ له مشاركة تلك الاجتماعات:‹ كنت أشاركهم تلك الاجتماعات، ولم يكن من الأولاد أحد سواي يشهد ذلك المشهد المهيب »[4]وحتى عندما التحق عمر بـ"توبا" كان والده يحرص كل سنةٍ على إرسال المخطوطات المتنوعة إلى الكدية

---

[1] المصدر نفسه، ص109.

أيمن العتوم، **أرض الله** ، ص21.

[3] المصدر نفسه، ص21.

[4] المصدر نفسه ، ص22.

فيثري بها مكتبتها: ‹ في العام الثاني لقدومي إلى توبا زاد عدد نسخ صحيح البخاري، بعث إلينا أبي بنسختين أخرين منه، أعلمني بذلك الشيخ "سليمان»[1].

وقد تحدث عمر السيد في الرِّواية وأثناء سرده لحياته عن مجموعة من العادات والتقاليد التي كانت تسود منطقة "فوتاتور" فبالإضافة إلى أنَّ أهل القرية كانوا حريصين على إرسال أبناء لحفظ القرآن حيث كانوا يرسلونهم إلى الكتاتيب: « كان أبي يقول لي دائما: القرآن هو أرض الله التي لا يضيع فيها التَّائهون، ولهذا لم يكن هناك خيار سوى أن أحمله في صدري»[2] ؛ فإن أهالي "فوتاتور" كانوا يعتقدون بشيوخهم الصَّالحين ويتباركون بهم وبزيارة قبورهم: « عندما مات شيخنا، اجتمع أهل القرية كلهم عند قبره، وكانوا يردِّدُون الأدعية، وكأنهم يخشون أن تفارقهم بركته مع رحيله »[3].

ولعلَّ أكثر شيء كان أهل القرية ونسائها يعتقدون به هو تلك التَّمائم والأحراز التي كانت النِّساء تضعها في جيد أبنائها أو تدُسُّها بين الثِّياب التي يرتدونها، معتقدين أنَّها تحميهم، وتحفظهم من كل الشُّرور التي قد تلحق بهم: ‹ لوكنت تضع الحرز في ذلك اليوم لما أصابك مكروه›[4]، بل أنَّ الأم قد هدَّدت الأب إن لم يُجبِر ابنيه على ارتداء الحرزين فإنَّها قد تقتل نفسها، ولمَّا التهم التِّمساح آمنة أعادت ذلك إلَّا أنَّها لم تكن ترتدي حرزها، فهو يحميها من الهوام ومن كلِّ الحيوانات التي قد تلحق بها الضَّرر.

---

[1] المصدر نفسه، ص111.

[2] المصدر نفسه، ص46.

[3] المصدر نفسه، ص34.

[4] المصدر نفسه، ص58.

المطلب الثاني: محددات الأمان وتأثيرها على تكوين الشَّخصيَّة

يمكن اعتبار رواية أرض الله سيرة ذاتية لـ "عمر بن السيد" هذه السِّيرة التي خطَّها العتوم في روايته، فهي شخصية حقيقية لرجل سنغالي إفريقي مسلم أُسِر واستُعبِدَ وبِيعَ في أمريكا خلال القرن التاسع عشر، ومُحدِّدَات الأمان في هذه الرِّواية تُعتبَرُ عاملًا مهمًا في تكوين شخصية عمر، فهي تؤثِّر على تلك التَّجربة النَّفسية والفِكرية، وتساهم في تشكيل هويّتِه، وسلوكه.

أ. الأمان النفسي والوجودي:

تعتبر فترة الطفولة والشباب في حياة عمر السيد هي فترة استقرار نفسي ووجودي فالعتوم في هذه المرحلة يجسِّد لنا كلُّ الظُّروف والحالات التي جعلت من شخصية عمر شخصية متزنة، متعايشة مع الواقع. ولإدراكنا بالأنساق الثقافية التي كانت تحيط عمر من كلِّ جانب بادئ ذي بدء من الوسط الأسري الذي كان هانئًا مستقرًّا إلى علاقات عمر بأفراد عائلته التي يسودها الحب والتَّفاهم والتَّناغم والانسجام إلى تلك الرَّابطة المتينة التي ربطت عمر بشقيقته آمنة كلُّ هذه العوامل جعلت من عمر طفل يعيش السَّلام الرُّوحي والنَّفسي فالبيئة التي عاشها عمر وفَّرت له قدرًا كبيرًا من الأمان النَّفسي والوجودي، هذا الأخير الذي انعكس على شخصية "عمر" في الأسر وكان سببًا في تمرّده على العبوديَّة ورفضه لها.

فقد عاش عمر في بيئة إفريقية يسودها التَّماسك الاجتماعي من الأسرة إلى أفراد قريته الذين كانوا يحبُّون عمر فهو ابن سيِّدهم، والأسرة عزَّزت شعوره بالأمان النَّفسي: «كان بيتنا مفعماً بالحياة، وكان يزورنا كثيرٌ من العلماء وأصدقاء أبي»[1].

أيمن العتوم، **أرض الله** ، ص21.

كما أنَّ التعليم الدِّيني أثَّر بشكل كبير على تحقُّق الأمان النَّفسي في شخصية عمر، فالإسلام دين السَّلام والأمان والقرآن خير جليس للإنسان يجعل من النَّفس البشريَّة تهدا وتطمئن بمجرد الاستماع له فما بالك بطالب مُجِدٍّ ينتقل إلى الكُتَّاب كلَّ يومٍ ليأخذ عن شيخه أصول اللغة، ويحفظ ما تيسَّر من القرآن إلى بيت علم ومعرفة فالأب الشغوف بالدين واللغة غرس ورسَّخ هذا الشَّغف في نفس وحيده وذلك ما تجلَّى من خِلال مجالسته للخطَّاطين، واستقبالهم، وكذا العادات التي غرسها الوالد في ابنه حتَّى ينعم بذلك الشُّعور الرَّائع من الأمان والطمأنينة: « طلب أبي من أحدهم أن يخصِّص لي ساعة في اليوم من أجل تعلم حروف العربية، وأتدرب على الخط منهم وكنت حينها لم أبلغ السادسة ... »[1].

فتلقَّى عمر التَّعليم الأوَّلي في الكتاتيب وحفظه القرآن وتعاليم الفقه الإسلامي منحه شعورًا بالطّمأنينة، ومنح حياته بعدًا روحيًّا عميقًا.

الافتخار بالعرق:

صوَّر لنا العتوم من خلال سرده لحياة "عمر بن السيد" ذلك الشُّعور الرَّائع بالانتماء إلى قومه وأُمَّته الإفريقيَّة الإسلاميَّة، الأمر الذي جعله يكون ثقة قويَّة بنفسه فهو الطِّفل الذي يتغنَّى بأصوله الإفريقية، ولم يكن يجد حرجا في وصف لونه أو التحدُّث عن السِّمات العامَّة التي تُميِّز بني جنسه، بل أنَّه وعلى الرَّغم من كبر سنه وهو يسرد لنا وقائع وتفاصيل حياته إلَّا يذكر صفحات من مخطوط قرأه في صغره لابن بطُّوطة الذي يتحدَّث عن أفراد جنسه، فهو يتغنَّى بذلك، وكتب فيه عدة صفحات عن حبِّه لأبناء جنسه وتلك الميزات، وهولا يخجل من كونه زنجي بشفاه كبيرة وبشرة سمراء أقرب إلى السَّواد، ولكن كان يشعر بالفخر وهو يقرأ قول ابن بطُّوطة عن قومه ومدى تعلّقهم بدينهم الإسلام وتلك الطُّقوس التي يمارسونها على أطفالهم الذين لا يصلُّون أولم يحفظوا القرآن، وكيف كانت تربط أقدامهم، حتَّى أنَّ عمر

[1] المصدر نفسه، ص25.

الصَّغير سأل والده هل سوف تربط قدمي وآمنة كذلك ؟!:« فمن أفعالهم الحسنة قلَّة الظُّلم، فهم أبعد النَّاس عنه وسلطانهم لا يسامح أحدًا في شيء منه، ومنها شمول الأمن في بلاده فلا يخاف المسافر فيها ولا المقيم من سارق ولا غاصب، ومنها عدم تعرضهم لمال من يموت ببلادهم من البيضان ولوكان القناطير المقنطرة ... ومنها مواضبتهم على الصّلوات والتزامهم لها في الجماعات وضربهم أولادهم عليها، ... ومنها عنايتهم بحفظ القرآن العظيم وهم يجعلون لأولادهم القيود إذا ظهر في حقِّهم التَّقصير في حفظه ... وقيل لي إنما قُيِّدَ حتى يحفظ القرآن »[1].

كما أنَّ عمر كان يتغزَّل في جمال أخته الإفريقي ويصفه بتفاصيله من جدائل شعرها الرَّقيقة التي كانت الأم تصنعها لها إلى اللِّباس المطرَّز الذي ترتديه إلى لون عينها وذلك السَّواد المحيط بها دون أن ينسى أناملها التي كانت غالبًا ما تكون مخضَّبة بالحنَّاء، بل أنَّ عمر كان يشترط على أخته أنَّه حين يكبر سيتزوج زنجية جميلة مثلها.

«فلقد كانت الشّفتان الغليظتان قليلا تفتران عن صف من اللآلئ البيضاء شديدة البياض، كأنَّها در صاف ... وكان لها جبهة دائرية بارزة وعالية، وكان شعرها جعدًا لكنَّه طويل وأمِّي كانت تظفره لها في ضفائر متعدِّدَة، وكان هناك بعض السَّواد الغامق تحت عينيها في التَّجويف الذي يلي أسفل الجفن ... وكانت أمي تحنِّي أصابعها دائمًا ... كنَّا في صلاة»[2].

كما يصف لنا عمر في حبّ أطفال قريته وهم يَشِعُّون بالبياض أيَّام الجمعة، وكيف تعكف الأمَّهات على تحميمهم وجعلهم يلبسون أجمل الملابس والتي شبَّهها عمر بملابس

---

[1] أيمن العتوم، **أرض الله** ، ص32.31.

[2] المصدر نفسه، ص40.39.

العيد، وكيف كانت بشرتهم تلمع بعد دهن الأمَّهات لها: «لا تسرف ولو كنت على نهر جاره وكانت أمهاتهم بعد الاستحمام يدهن الأطفال بدهن يزيد لمعان بشرتهم السَّوداء»[1].

فعمر كان طفلًا متسامحًا مع نفسه مطمئنًّا ولم يكن خجلًا من جنسه، فهو يصف نفسه أنَّه كان أقرب مِنه لليل الحالك من السَّواد.

الاستقرار الاقتصادي:

كما كان الاستقرار الاقتصادي الذي عاشه عمر وأسرته في مرحلة الطفولة سبب مباشر لجعله يعيش ذلك الاستقرار النَّفسي والطّمأنينة فهو ابن سيِّد القرية، وكان منزلهم أكبر البيوت، وكان يتمتَّع بغرفته الخاصَّة إذ أنَّ أبناء القرية لا يوجد فيهم أحد يعيش الرَّخاء الذي يعيشه عمر الذي تمتَّع بغرفة كبيرة ومتَّسعة، قد يتشاركها مجموعة من الأطفال في حين أنَّه يسكنها لوحده: « بيتنا أكبر بيت في القرية، وأبي ورثه عن جدِّي وأضاف إليه منامات ومعاشات، يتكون بيتنا من سبع غرف، كانت البيوت التي حولنا أكواخا مبنية من القشّ، بينما كان مبنيًا من الحجر، وكان مسقوفًا بخشب اللَّون الأسود... »[2]، ويستطرد عمر في وصف هذا المنزل الذي سكنه مع أفراد عائلته إلى أن يصف تلك الغرفة التي كان يغيب داخلها الأب لساعات طويلة وهي الغرفة التي ضمت مذكرات الأجداد، فعندما سألته زوجته عنها وعن محتوياتها أجابها: « فيها بندقية ليست موجودة في إفريقيا كلَّها، وسيوفًا ورماحًا وأقواسًا وخناجر كان أجدادي يقاتلون بها البرتغاليين ومستعمرين آخرين وبعض القبائل من القرى والبلدان المجاورة»[3].

كلُّ هذه العوامل والظُّروف جعلت من عمر شخصيَّة متَّزنة في طفولته وشبابه وكوَّنت منه شابًّا متَّزنًا نفسيًّا يتعايش في سلام مع نفسه ومحيطه الذي يعيش فيه.

---

[1] المصدر نفسه، ص66.

[2] المصدر نفسه، ص29.

[3] أيمن العتوم، **أرض الله** ، ص30.

ب . الأمان الاجتماعي:

«الحياة الاجتماعية هي ذلك التَّفاعل المتبادل بين أفراد المجتمع، وتلك العلاقات المتبادلة بين أطرافه، فالإنسان بطبعه اجتماعي، يُحبُّ العيش وسط جماعات، ويكيِّف شعوره ومبادئه وفق هذا المجتمع الذي يعيش فيه»[1]، عمر لم يكن الطِّفل الذي أحبَّ الحياة وحيدًا، فعلى الرَّغم من أنَّه كان الطِّفل الوحيد لوالده إلاَّ أنَّه كان متفاعلًا مع أبناء القرية الذين يلعبون مع بعضهم البعض بجانب النَّهر الذي يجري في قريتهم، كذلك كانت تربطه علاقة قويَّة بأخته آمنة، وكان لا يكاد ينفصل عنها.

وإذا كنَّا سنتحدَّث عن الأمان الاجتماعي في هذه المرحلة، وجب علينا أن نقوم بتعريف فالأمان الاجتماعي، هو عدم شعور الفرد أنَّه منبوذ وسط جماعته، بل يجب عليه أن يشعر بالانتماء إلى هذه الجماعة التي يتعايش معها ووسطها، وهذا ما كان في شخصيَّة الطِّفل والشّاب فعمر الطِّفل كان عنصرًا حيويًّا في أسرته، وكذا في كُتَّابه وأيضًا مع الخطّاطين الذين كان الأب يستقدمهم لنسخ الكتب والمخطوطات: « عشنا طفولتنا معًا، أعني السَّنوات الأولى من طفولتنا، كنَّا نركض في السَّاحة التي تفصل بين بيتنا والنَّهر تسابقنا فيها آلاف المرَّات، وعثرنا في عدونا مئات المرَّات، وسقطنا ونهضنا وصرخنا وصمتنا وجلسنا تحت أشجارها وأنشدنا الأشعار، وتمنَّينا أماني مشتركة وحلمنا أحلامًا واحدة ... »[2].

هكذا كانت علاقة عمر مع آمنة أخته علاقة متكاملة مترابطة، يكمل أحدهما الآخر، فعمر هنا يشرح لنا عمق العلاقة التي كانت تربطه بأخته آمنة، فهي علاقة الابن بأمّه الرَّؤوم، يصف لنا عمر علاقته بآمنة، بل ويستذكر كل الأحداث التي عايشوها معًا، من

---

[1] ينظر: نهاد خلوف، **ملامح الهوية في رواية سيدات زحل**، ص71.70.

[2] أيمن العتوم، **أرض الله**، ص 40.

جلوسهم مع الخطَّاطين، إلى حضورهم مجالس القضاء التي كان الأب يديرها، إلى تعليمها إيَّاه ركوب الخيل، وعنايتها به أثناء مرضه مدَّة أكثر من أسبوعين بعد سقوطه من على ظهر الحصان كما يصف لنا عمر بمرارة حادثة موت آمنة التي التهمها التِّمساح في النَّهر على مرأى من أعين عمر ويستطرد عمر في أربع فصول حجم المأساة التي تعرَّضت لها العائلة وهي الفصول المعنونة بـ« سنبقى إلى أن تغيب الشَّمس»[1] والتي يصف فيها الحادثة بكل تفاصيلها على مدار خمس صفحات، ثم يكمل وصفه للفجيعة وعدم تصديق الأم لها في: « غدًا سنكمل حديثنا، الآن علينا أن ننام »[2]، حيث يشرح لنا في هذا الفصل عمق المأساة التي أصابت هذه الأم الثكلى، وكيف أنَّها غير مصدِّقة لما أصاب وحيدتها، وهي تحمِّل الأب مسؤولِيَّة موت غاليتها، كما يشرح في هذا الفصل البحث المتواصل من الأب وأفراد القرية على هذا التِّمساح المجرم، الذي لم يجدوا له أثر حتَّى أنَّ الأب شكَّك في عمر إن كان قد رأى أخته بالفعل والتِّمساح يلتهمها، ليتحدَّث في الفصل الذي يليه «غارق في الذِّكرى»[3] عن مرض الأم التي كادت تفقد عقلها وهي تبكي ابنتها، وعن عمر الذي حقد على التِّمساح الذي افترس تلك الحورِيَّة التي كانت شمعة منزلهم ونوره ليستطرد في الفصل الموالي عمق الحزن، وكيف أراد الأب أن يدفن حزنهم، ويتخطَّى هذه الفاجعة بدفن الحرز الذي كانت تلبسه آمنة والذي احتفظت به الأم واحتضنته كأنَّها تحتضن ابنتها في الفصل: «هنا ترقد آمنة، آمنة» [4]

يمكننا القول أنَّ عمر قد فقد بعضًا من الأمان الدَّاخلي والنَّفسي الذي كان يعيشه بفقدان شقيقته، هذا الأمان الذي لم يجد له علاجًا إلَّا الهروب من جو هذا المنزل الذي أصبح شبيهًا بالمقبرة، فقرَّر أن يذهب إلى توبا لطلب العلم: ‹إنَّه الهروب على الأرجح، لديَّ حياة

---

[1] المصدر نفسه، ص75.80.

[2] المصدر نفسه، ص81.87.

[3] أيمن العتوم، **أرض الله** ، ص88.93.

[4] المصدر نفسه، ص94.101.

أخرى في مكان ما، قدري أن أُجرِّب الحيوات كلَّها...»[1]، فعمر هنا يريد أن يجرِّب شيئًا جديدًا يريد أن يبتعد إلى مكان آخر علَّه ينسى ذلك التِّمساح، ‹فذهب إلى قبرها وأجرى حوارًا معها وطلب إذنها في الذَّهاب إلى توبا ليطلب العلم»[2].

في هذه المرحلة يبد أعمر في تشكيل علاقات اجتماعية أخرى مع رفاقه من المريدين الذين جمعهم طلب العلم والاجتهاد فيه فيتحدَّث عمر في مجموعة من الفصول عن حياته في توبا وكيف ربط العلاقات مع رفقائه من المريدين، وكيف كان تلميذًا مُجدًّا مجتهدًا، فيشرح كيف قسَّم يومهم هو ورفقائه من المريدين في طلب العلم، والتَّنظيف والصَّلاة ومراجعة المعارف وعن تلك العلوم التي اكتسبوها، فعمر في هذه الفصول التي تصف حياته في توبا كان دائم الحديث بأسلوب الجمع، ليؤكِّد لنا أنَّه كان في توبا فردًا من جماعة وعضوًا منها: «وكنَّا نجتمع أيَّام رمضان في المسجد؛ المريدون والشُّيوخ وأهل الذِّكر فنقوم اللَّيل، ما نأخذ من طعام الإفطار إلَّا ما يعيننا على القيام ... »[3].

ج . الأمان الدِّيني والرُّوحي:

تعتبر رواية أرض الله رحلة روحيَّة وإنسانيَّة، تأخذنا في جولة معمّقة في حياة عمر بن السَّيد الذي كان هانئًا في وطنه ليتم استبعاده عن أرضه، واستعباده في الأرض الجديدة، واضطهاده من طرف الرَّجل الأبيض الذي أسره وعذَّبه وسلب منه حرِّيته.

---

[1] المصدر نفسه، ص102.

[2] ينظر: المصدر نفسه ، ص102.

[3] المصدر نفسه، ص118.

أثناء تتبّعنا لمراحل تشكُّل شخصيَّة عمر في الرِّواية، والبحث عن الأمان الدِّيني والرُّوحي الذي شكَّل شخصية عمر قبل أن يقع في العبوديَّة على أن نتحدَّث عن المحاور التي جعلت من شخصيَّته متَّزنة آمنة، فقبل أن يقع عمر في الأسر عاش في بيئة إسلامية في غرب إفريقيا "السِّنغال" وهي المنطقة التي عاش فيها، وتعلَّم فيها مبادئ الإسلام التي شكَّلت رؤيته للحياة، فكان يتلقَّى العلم الدِّيني في الكتاتيب، ويحفظ القرآن ويتعلَّم أصول الدِّين، مِمَّا منحه إحساسًا بالطّمأنينة الرُّوحية والانتماء: « رحت أستعين ببعض الآيات التي تساعدني على الصَّبر، وأسترجع السُّور التي كنت أردِّدها، علَّني أقاوم الجزع والخوف من المجهول»[1]، فقد كان عمر طفلًا وشابًّا متديِّنًا لم تكن تواجهه التَّهديدات الوجوديَّة التي تجعله يشكِّك في معتقداته، فقد كان يرى أنَّ الدِّين وسيلة في تفسير العالم وإيجاد السَّلام الدَّاخلي، فقد كان لسماع الآذان عنده وقع خاص، وينشر الطُّمأنينة في نفسه، رغم صغر سنِّه، فقد شرح لنا عمر كيف أحسَّ بالطّمأنينة عند سماعه آذان الفجر أيَّام مرضه، كما أنَّه يشرح حياته في توبا، ويصفها بحياة الرُّوح، وهو يتحدَّث عن طقوسهم في الصَّلوات وتلاوة القرآن والتَّحلُّق حول العلماء والشُّيوخ للاستماع لهم كل هذه الطُّقوس حقَّقت لعمر سلامًا داخليًّا وشعورًا بالرَّاحة والطّمأنينة الرُّوحية، فحياة الزُّهد التي عاشها عمر في توبا كانت حجر الأساس في تشكُّل شخصيَّة مؤمنة متديِّنة قوامها الرَّاحة النَّفسيَّة والرُّوحانيَّة.

د . الأمان المادِّي والاجتماعي:

يمكننا أن نعتبر أنَّ الأمان المادِّي أو الاقتصادي عنصر مهم جدًّا في تشكُّل شخصيَّة عمر قبل الأسر والعبوديَّة، حيث أنَّ هذا الأمان المادِّي منح عمر الاستقرار والانتماء

[1] أيمن العتوم، **أرض الله** ، ص12.

الاجتماعي وعزَّز ثقته بنفسه، فقد وفَّر له الأمان المادِّي بيئة مستقِرَّة ساهمت في تطوره الفكري والدِّيني.

فقد عاش عمر في بيئة إفريقية مستقرَّة نسبيًّا، فقد كانت الحياة هانئة ولم تكن المنطقة التي يسكنها تعاني ويلات الحروب أو الجوع، كما كانت عائلته تتمتَّع بوضع اقتصادي جيِّد، هذا الأمان الذي وفَّر له مسكنًا آمنًا، فقد نشأ في بيئة توفِّر له الحماية بعيدًا عن الضُّعف الاقتصادي أو الاجتماعي الذي قد يهدِّد أمنه واستقراره: « لم نكن معزولين مع حالة الغنى التي نتمتَّع بها»[1]؛ ففي هذا الاقتباس من الرّواية تظهر لنا الرَّخاء الذي عاشه عمر، الأمر الذي جعلت حياته خالية من القلق المادِّي وساعده في التَّركيز على طلب العلم والتَّديُّن، وأنَّه لم يكن يجوع كغيره من أطفال القرية، ولم يكن بحاجة للعمل حتَّى يوفِّر لقمة العيش، فقد كانت عائلته قادرة على توفير تعليم جيِّد له، مِّما ساعده على حفظ القرآن والتَّعمُّق في الدِّين: « في الرَّابعة أو الخامسة بعث بي أبي إلى الكُتَّاب»[2]، فهذا يوضِّح لنا أنَّ الأمان المادِّي مكَّنه من التَّعلم دون ضغوطٍ اقتصادية، وهوما شكَّل وعيه الدِّيني والعلمي، فقد كانت لعمر مكانةً اجتماعيَّةً محترمةً بفضل وضع عائلته، مِمَّا عزَّز ثقته بنفسه: « وكان الصَّيَّادون يعرفونني ويهتمُّون بي»[3]. فالاستقرار المادِّي الذي حضت به عائلته منح عمر احترامًا اجتماعياً، مِمَّا ساعد في بناء شخصيَّته الواثقة، حيث وفَّرت له البيئة المستقرَّة عاملًا مساعدًا للتَّعلُّم والتَّطوُّر.

---

[1] المصدر نفسه، ص30.

[2] المصدر نفسه، ص12.

[3] المصدر نفسه، ص21.

المبحث الثالث: تسريد المكان في مرحلة تشكُّل الشَّخصيَّة

لقد شغل المكان حيّزًا واسعًا في السَّرد الأدبي، فهو يساهم بشكل كبير في تشكيل الأحداث والشَّخصيَّات إذ أنَّه يضفي على النَّص الأدبي أبعادًا دلاليَّة وجماليَّة متعدِّدة، فالمكان من بين التِّقنيَّات السِّردية الحديثة التي أعطاها الرُّواة قيمة كبيرة، وشغلت حيّزًا كبيرًا من ذهن ومساحة العمل الأدبي، فقد تخطَّى المكان كونه مساحة للأحداث، ليصبح تجسيدًا للواقع وتجسيمًا له: « فلم يعد المكان ممثِّلًا للإطار الذي تجري فيه الأحداث، وتتصارع فيه الشَّخصيَّات، بل أنَّه قد اكتسب سِمات الشَّخصيَّة الحيَّة»[1].

وبهذا يأخذ المكان حيزًا حيويًّا تتجسَّم وتتصارع فيه الشَّخصيَّات وتمثِّل مسارح الأحداث، فقد تجاوز المكان كونه مساحة هندسية معينة تحيطها جدران وأبواب أو أشجار إلى مساحة للصِّراع وتشابك الأحداث فيما بينها: «فإذا كان المكان مساحة ذات أبعاد هندسيَّة أو طبُّوغرافيَّة تحكمها المقاييس والحجوم، فإنَّه لا يقتصر عن كونه أبعادًا هندسيَّة وحجومًا، ولكنَّه فضلًا عن ذلك نظام من العلاقات المجرَّدة»[2].

«فقد اكتسب المكان في الرِّواية الحديثة مكانةً عاليةً، فنجد أنَّ المبدع تجاوز من خلاله مكانه وواقعه، كما يمكن أن يميل مبدع آخر إلى الاسترسال في وصف المكان في محاولة منه لإعطائه صفة وسمة المكان الواقعي وتحديد جغرافيَّته»[3]، كما هو الحال في روايتنا "أرض الله" فنجد أنَّ العتوم يعيش المكان؛ فهو يسهب في وصف أماكنه حتَّى تتخيَّل أنَّك تراها أمام ناظريك.

---

(1) تميمة كتانة، **المكان في روايات إميل حديدي**، (ط.1)، 2017، ص30.

(2) اعتدال عثمان، **جماليات المكان**، مجلة أقلام، شباط1986، ص76.

(3) ينظر: تميمة كتانة، **المكان في روايات إميل حديدي**، ص31.

ولعلَّه من بين أبرز المفاهيم والتِّقنيَّات السِّرديَّة الحديثة التي أقيمت على الدِّراسات الرِّوائيَّة نجد تقنية تسريد المكان وهو المصطلح الذي يشير إلى أنَّ المكان تخطَّى حجمه الجغرافي ليتحوَّل إلى عنصر ديناميكي داخل الإطار السِّردي، بحيث يصبح له دور سردي يعادل أحيانًا دور الشَّخصيَّات والأحداث.

فما هو مفهوم تسريد المكان؟ وما الأساليب المستعملة فيه؟ وما علاقة المكان بتشكُّل هويَّة الشَّخصيَّة؟

1. مفهوم تسريد المكان:

لقد اتَفق الدَّارسون على أنَّ تسريد المكان هو جعل المكان جزءًا أساسيًّا من أجزاء العمل السِّردي، حيث أنَّه أصبح جزء فعَّال في تغيير مجريات أحداث العمل السِّردي وذلك من خلال تفاعل الشَّخصيَّات مع بعضها البعض في إطار سردي، وذلك ما أشار إليه ياسين النصير حيث يقول: «تسريد المكان يعني جعل المكان جزءًا من البناء السِّردي بحيث يتجاوز دوره كخلفيَّة ثابتة للأحداث، ليصبح مؤثِّرًا في مجريات القِصَّة، سواء عبر تفاعله مع الشَّخصيَّات أو عبر إضفاء أبعاد رمزيَّة ودلاليَّة عليه»[1].

وبهذا يصبح المكان عنصرًا فاعلًا في مجريات العمل السِّردي، وتقنية سردية محرِّكة للأحداث ومساهمة في تشكُّل الشَّخصيَّات وتنامي صراعاتها، فتسريد المكان أصبح أحد أبرز التَّحوُّلات في السَّرد، فلم يعد المكان مُجرَّد وعاء للأحداث، بل صار فاعلًا سرديًّا يساهم في تشكيل المعنى وإضفاء عمق أدبي وفلسفي وفنِّي على العمل السِّردي.

2. أساليب تسريد المكان:

هناك عدَّة أساليب يتجلَّى فيها تسريد المكان منها:

---

[1] ياسين النصير، **المكان والرواية**، الموسوعة الصغيرة، دار الشؤون الثقافية العامة، (د. ط)، بغداد، (د . ت)، ص57.

1 . 2 «تشخيص المكان: وفيه يتمُّ تصوير المكان وكأنَّه شخصيَّة فاعلة تتفاعل مع الشَّخصيَّات الأخرى، مثل أن يكون للمكان مشاعر أو أن يصف المكان وكأنَّه كائن حيّ»[1].

2. 2 «المكان النَّفسي: وهو المكان الذي يعكس المشاعر الدَّاخلية للشَّخصيَّات، فيصبح امتدادًا لحالاتهم النَّفسيَّة، كما في استخدام الظُّلمة أو الضِّيق للتَّعبير عن الحزن أو التَّوتُّر»[2].

2.3«المكان الرَّمزي: وفيه يتم توظيف المكان ليحمل دلالات ثقافيَّة أو تاريخيَّة أو فلسفيَّة كأن يرمز البيت المهجور إلى الموت أو أن تعكس المدينة الفوضويَّة واقعًا اجتماعيًّا مضطربًا كما هو الحال في رواية "باب الشَّمس" لإلياس خوري حيث يتحوَّل المخيَّم الفلسطيني إلى فضاء سردي يعكس الهويَّة والمقاومة والمنفى»[3].

2.4 «المكان التَّاريخي والسِّياسي: بعض الرِّوايات تجعل المكان شاهدًا على الأحداث التَّاريخيَّة والسِّياسيَّة مثل: القدس في الرِّوايات الفلسطينيَّة، أو بغداد في الرِّوايات التي تتناول الحروب»[4].

3. علاقة المكان بتشكُّل الهويَّة الشَّخصيَّة:

«يلعب المكان دورًا محوريًا في تشكيل الهويَّة الشَّخصيَّة في العمل السِّردي، حيث أنَّه يعتبر أكثر من مجرَّد خلفيَّة للأحداث، بل يساهم بفاعليَّة في بناء وتطوير الشَّخصيَّات وتحديد هويَّاتها النَّفسيَّة والاجتماعيَّة والثَّقافيَّة، ويتجلَّى تأثير المكان على الهويَّة الشَّخصيَّة

---

(1) ينظر: عبد الحميد بورايو، **تحليل الخطاب السردي**، دار الغرب للنشر، (د . ط)،2007، ص172.

(2) ينظر: بوزيد محمد، **بلاغة السرد**، تحليل الخطاب الروائي، دار الكتاب الجديد، (د. ط)، 2010، ص108.

(3) ينظر: سعيد يقطين، **الكلام والخبر مقدمة للسرد العربي**، المركز القفاي العربي، (د. ط)،1997، ص56.54.

(4) ينظر: المرجع نفسه، ص56.54.

من خلال تفاعل الشَّخصيَّات مع بيئتها المكانيَّة، مِمَّا يعكس تجاربها وانتماءاتها وتطلُّعاتها»[1].

فمن خلال وصف السَّارد للأماكن وتفاصيها يتمكَّن من نقل مشاعر وانفعالات الشَّخصيَّات مِمَّا يساهم في فهم أعمق لهويَّاتها، فالمكان وبكونه عاكس للأبعاد النَّفسيَّة والاجتماعيَّة والثَّقافيَّة للشَّخصيَّة، «يبرز العلاقة التَّبادليَّة بين المكان والشَّخصيَّة في كيفيَّة تأثير كلٌّ منهما على الآخر، فالمكان يبرز سمات الشَّخصيَّة ويسهم في فهم دوافعها وانفعالاتها، بينما، بينما تضفي الشَّخصيَّة على المكان معاني ودلالات تتجاوز طبيعته الفيزيائيَّة، فالمكان يسهم في تشكيل هويَّة الشَّخصيَّات وانتماءاتها الثَّقافيَّة والاجتماعيَّة»[2].

وقد يتحوَّل المكان في بعض الرِّوايات إلى رمز يحمل دلالات أعمق، حيث يُستَخدم للتَّعبير عن مفاهيم مثل: الحرِّية، القيد، الانتماء، أو الاغتراب، فالعلاقة بين المكان والشَّخصيَّة في الرِّواية تتَّسم بالتَّداخل والتَّفاعل المستمر، حيث يسهم كلا منهما في تشكيل الآخر، مِمَّا يعزِّز فهم القارئ للنَّص الرِّو

المطلب الأوَّل: فوتا تور كرمز للبحث عن الحقيقة والهويَّة

في مرحلة ما قبل العبوديَّة يسرد العتوم حياة عمر بن السيد في قريته "فوتاتور" ورحلته وانتقاله إلى مدينة توبا حيث تعلَّم الدِّين ودرسه واكتسب مختلف العلوم الإسلاميَّة، وكما سبق وأشرنا أنَّ المكان في الأعمال السَّرديَّة الحديثة تخطَّى كونه حيزًا جغرافيًّا تدور فيه الأحداث إلى أنَّه يحمل رموز ودلالات متعدِّدة، وأنَّه أيضًا أصبح عنصرًا فاعلًا ومؤثِّرًا في مجرى

---

[1] ينظر: رقية رستم بور الملكي، يسرى شادمان، **المكان الروائي في شخصية البطل في رواية قنديل أم هاشم**، مجلة الكلية الإسلامية الجامعة، الجامعة الإسلامية في النجف الأشرف، مجلد:1، عدد:53، ص 201.

[2] ينظر: دانا طالب بور وشهريار نيازي، **(العلاقة المتبادلة بين الشخصية والمكان في رواية لأنني أشتاق إليك لسناء أبو شرار)**، مجلة اللغة العربية وآدابها، جامعة طهران، مجلد: 20، العدد:2، يوليو2024، ص151.163.

أحداث العمل السِّردي؛ ففي رواية أرض الله للعتُّوم، أخذت "فوتاتور" بعدًا رمزيًا محوريًا في سياق البحث عن الهويَّة، فهي ليست مجرَّد حيز جغرافي بل تمثيل للانتماء الرُّوحي والثَّقافي الذي يسعى عمر بن السيد إلى استعادته وسط التِّيه والضَّياع الذي تمر به: « كنت ناعمًا بحياة جميلة في بلادي»[1]. فقد كان عمر السيد عبر مدار الرِّواية يتوق ويبحث عن الحريَّة والخَلاص، وهذا الخلاص يتمثَّل في عودته إلى "فوتاتور": ‹إنَّه الغروب كان ساحرًا شفيفًا هناك ... كلَّما تذكَّرته بكيت، بكيت مرَّتين، من الشَّوق مرَّة ومن الألم مرَّة»[2].

"فوتاتور" تمثِّل تلك الجذور الأولى، الأرض الأمّ التي خرج منها عمر قسرًا دون رغبة منه، هي الوطن الأصلي الذي شكَّل هويته المتماسكة قبل اقتلاعه من جذورها، ومحاولته العودة إليها هي محاولة منه لاستعادة ذاته المفقودة، وتأكيد على انتمائه إلى هذا الجزء من الكرة الأرضية وإلى ترسيخ عقيدته الحُرَّة، فهي رمز للصَّفاء والنَّقاء والماضي الذي لم يستكمل، هذا الحنين لم يكن فقط للوطن بل هو حنين لهويته الدِّينيَّة والثَّقافيَّة وإنسانيَّته التي سُلِبَت منه: «رأيت أشجارًا بعيدة، إنَّها أشجار لفوتا، الأشجار التي قضيت حياتي السَّابقة كلُّها بين أحضانها، لقد رأيتني، رأيتني على الحقيقة هناك يوم كنت طفلًا ... »[3].

"فوتاتور" كانت تمثِّل لعمر التَّاريخ والانتماء فهي رمز لجذوره، وجذور أجداده وهي تقُصُّ تاريخ شعبٍ بأكمله، بل إنَّها تاريخ وماضي أوطان كان عليها أن تحافظ على حاملي السِّلاح حتَّى تحافظ على تاريخها وسلامتها: «هذا التَّاريخ الذي أحكيه لكم، قد يبدو لكم تاريخي لكنه

---

(1) أيمن العتوم، **أرض الله**، ص7.

(2) المصدر نفسه، ص10.

(3) المصدر نفسه، ص14.

ليس كذلك بالمعنى الحرفي، إنَّه تاريخ شعب ووطن ونهر، إنَّه يتكرَّر ... كان على الشَّعب أن يحمل السِّلاح، وكان على الوطن أن يحمِل حاملي السِّلاح»[1].

وقد مثَّلت فوتا تور لعمر وطنًا عِرقيًّا وقوميًّا بل مركز ديني مهم، حيث أنَّ الدِّين الإسلامي قد وصلها منذ قرون، وبالتَّالي هي تُعبِّر عن هويَّة دينيَّة صلبة، تُشكِّل قيمة معنوية كبيرة لعمر، فهي الأرض الأم التي استقى من خلالها تعاليم الدِّين وبوادره الأولى: «رحت أستعين ببعض الآيات التي تساعدني على الصَّبر، أسترجع السُّوَر التي كنت أردِّدُها متنغمًا وأنا طفل علَّني أقاوم الجزع والخوف من المجهول الذي ينتظرنا»[2].

«فقد تشكَّل الحيز المكاني في رواية أرض الله والمُجسَّد في فوتا تور في سِمتين أساسيَّتين، سِمات حِسِّية وأخرى معنويَّة»[3]، فقد أخذت" فوتاتور" دور البطولة في الرِّواية عبر هيمنتها القويَّة وإيجابياتها في تشكيل شخصيَّة عمر بن السيد وذلك من خلال أجزاء الرِّواية وبحث عمر عنها، وكأنَّه يبحث فيها عن الخلاص والحريَّة؛ فهي رمز للحريَّة والمقاومة والسَّلام الفكري والرُّوحي.

وقد أطال العتوم في وصف" فوتاتور" فأخذت حيزًا واسعًا وحجمًا كبيرًا من الرِّواية وتمثَّلت الأماكن في" فوتاتور" في:

1. النَّهر:

تحدَّث العتوم بشكل مسهب في الرِّواية عن النَّهر الذي يمرُّ بـ" فوتاتور" بالقرية التي سكنها عمر، فالنَّهر عند عمر يمثِّل مكانة رمزية عميقة، تتجاوز كونه معلم جغرافي ليشغل دلالات متعدِّدة تتَّصل بالتَّحوُّل الرُّوحي والتَّطهير والبحث عن الحقيقة والهروب من الماضي،

---

(1) المصدر نفسه، ص15.16.

(2) المصدر نفسه، ص12.

(3) ينظر: أمل يونس، محمد إرحيم ونصر الدين إبراهيم حسين، أ ثر السمات المكانية في تشكيل الشخصيات في رواية أرض لله، مجلة الدراسات اللغوية والأدبية، مجلد:13، العدد:1، 2022، ص79.85.

النَّهر في الرِّواية ليس مجرد مجرى مائي فحسب، بل هو مجرى للتَّحوُّل الإنساني، وقد تغيَّرت مكانته عند عمر من كونه رمزًا للانتماء والأمان إلى كونه رمزًا للخوف والمجهول خاصَّة بعد موت آمنة في النَّهر.

«فالنَّهر هو حركة الحياة، وكلَّما كان النَّهر، تحقَّق الخصب، وأصبح بإمكان الإنسان أن يحلم بالمستقبل بالبقاء وبمجابهة كلُّ الأخطار»[1]، فلطالما كانت المجاري المائيَّة رمزًا للخصوبة والنَّماء و«كثيرًا ما ربطت الأساطير بين الخصب والمياه، وكثيرًا ما ذكرت الأساطير أنَّ المياه الأولى هي أصل العالم».[2]

عمر الطِّفل كان متَّصلًا بشكل كبير بذلك النَّهر الذي يمرُّ عبر قريته: «النَّهر صديقنا، قضينا معه كل سنواتنا الرَّائعة إنَّه يجري في قريتنا كما يجري الدَّم في عروقنا»[3].

فالنَّهر بالنِّسبة لعمر هويَّته وذاته، والنَّهر هومصدر رزق أهل" فوتاتور ": « النَّهر من هنا يظهر بوضوح، من هنا تبدو قوارب الصَّيادين الصَّغيرة، وهم يدفعونها من الضِّفة إلى عمق النَّهر من أجل أن يلتقطوا أرزاقهم من أفواه السَّمك الجائع»[4].

إنَّ النَّهر في رواية العتوم، شغل حيِّزًا لا بأس به، وحمل دلالات متعدِّدة فمن كونه مصدرًا للرِّزق كان كذلك رمزًا للتَّحول والتَّطهر فهو يمثِّل لحظة انتقال عمر من حال إلى آخر خصوصًا في تلك الرِّحلة التي خاضها عمر من الغرق في المادِّيَات والشَّك إلى التَّوجه

---

(1) عبد الله البردوني، **دلالة الأشياء في الشعر العربي الحديث**، رابطة إبداع الثقافية، (د. ط)،2002، ص38.

(2) خليل حاوي، **النبوءة في الشعر العربي الحديث**، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، (د . ط)،2009، ص170.

(3) أيمن العتوم، **أرض الله**، ص15.

(4) المصدر نفسه، ص20.

إلى الإيمان والرُّوح، فهو رمز للتَّجدُّد والتَّوبة والتَّطهر من الذُّنوب: «وقفت عند النَّهر، أتأمَّل الماء وهو يمضي كما تمضي الحياة لا شيء يعود، لا شيء يمسك، وحده الله يثبت»[1].

فالنَّهر رمز للتَّطهر والتَّحرر من الجهل، وهو مكان للاكتشاف والصَّفاء: «كلما جلست عند النَّهر أحسست بشيء داخلي يغسل كأن الماء كان يغسل قلبي من أدران الشَّك»[2].

ليتحوَّل النَّهر بعد موت آمنة كرمز للمجهول والخوف، فماذا يوجد في نهاية هذا النَّهر إنَّه المجهول الذي لا يمكن رصده، فنهاية النّهر بالنِّسبة لعمر هي القدر الذي ينتظرنا، نحن لا ندرك شيئًا حوله: «نصل إلى المنعرج، الصَّخرة هنا لطخة أخرى، في هذا البياض المائي، خلفها يختبئ القدر»[3].

لقد تحوَّل النَّهر عند عمر، فأصبح يدلُّ على الحزن والألم، أصبح النَّهر عنده ذلك الكابوس الذي يخشاه، والمجهول الذي يحيطه، موت آمنة في هذا النَّهر غيَّر نظر عمر له من الأمان والصَّفاء إلى الموت والخراب إلى الحزن الذي كسى روحه وأبكاها: «أرتجف مثل النَّهر، أبكي كما يبكي، أرقص رقصة الذَّبيح كما يفعل، أسير تائهًا إلى مصبِّي الأخير دون هدى مثله، وأتلوَّى حول الصُّخور التي تبرز لي فجأة كما يتلوَّى»[4].

2 . البيت:

البيت دومًا يعني الأمان والاستقرار، وكان بيت عمر بيتًا فسيحًا واسعًا محاطًا بالطَّبيعة، مليئًا بالدِّفء الأسري، والطُّمأنينة التي تحيط أفراد العائلة في هذا البيت تعلَّم عمر القرآن، وتعلَّم الصَّلاة وتربَّى على القيم الإسلاميَّة فكان محاطًا بحب وعطف أبوي وهو مهده الأوَّل وذكرياته الجميلة مع شقيقته التي ظلَّت تؤرقه ويعيش على ذكراها، فكان البيت بداية

---

(1) المصدر نفسه، ص88.

(2) المصدر نفسه، ص63.

(3) أيمن العتوم، **أرض الله** ، ص77.

(4) المصدر نفسه ، ص89.

علاقة عمر مع الله ومع اللغة والكتابة، بل كانت بداية علاقته مع الأرض والهويَّة: «في بيتنا في فوتاتور، كان النَّهار يبدأ بصوت المؤذِّن، وكانت أمِّي توقظني على صلاة الفجر كما يوقظ النَّهر قلب الغابة».[1]

يقوم العتوم بوصف البيت الذي كان يسكنه، ويمعن في الوصف، فكأنَّك ترى هذا المنزل أمامك فهو بيت كبير ورثه الأب عن أجداده: « بيتنا أكبر بيت في القرية، ورثه أبي عن جدِّي»[2]، فالعتوم يصف البيت وجميع أجزائه وغرفه حتَّى كأنَّك تتجوَّل في غرفه وبين طرقاته، فعمر يتجوَّل بِنا بين غرف البيت ومنحنياته، فهو يصف كل غرفة على حدى والسَّاحة التي تصل بين البيت والإسطبلات والنَّهر، ويتماهى العتوم في وصف أجزاء البيت حتَّى يصل إلى وصف أرضيَّات الغرف والمفروشات التي فرشت عليها

وواصل عمر وصف منزله في هذا الفصل: «أقدارنا في صفحة الغيب مكتوبة»[3]. فالبيت في" فوتاتور" كان الملاذ الآمن لعمر ورمزًا للهويَّة التي سُلِبَت منه.

3 . المكتبة:

تحدَّث العتوم بشكل مسهب عن المكتبة في منزل عمر في فوتاتور فالمكتبة حملت دلالات متعدِّدة ارتبطت بالهويَّة والمعرفة والرُّوحانيَّة، كما يمكن اعتبارها انعكاسًا لشخصيَّة عمر، وتكوينه الثَّقافي والدِّيني، فهي تحوي كتب دينيَّة وأدبيَّة وفلسفيَّة باللُّغة العربيَّة، وهي تمثِّل تشبُّث عمر بهويَّته الإسلاميَّة والسِّنغاليَّة في مواجهة محاولات الطَّمس والاستعمار: «كانت مكتبتي وطني الصَّغير»[4].

---

(1) المصدر نفسه، ص49.

(2) المصدر نفسه، ص29.

(3) المصدر نفسه، ص29.36.

(4) المصدر نفسه، ص 45.

فقد كانت غرفة المكتبة تملك قيمة خاصَّة عند الأب الذي أولاها عناية خاصَّة بها، وتمعَّن العتوم في وصف هذه المكتبة وكيفيَّة تصفيف الكتب على رفوفها: «حظيت غرفة المكتبة التي تضم المخطوطات بعناية أبي أكثر من سِواها»[1]، فهذه الغرفة بالنِّسبة لعمر ووالده هي حلقة الوصل بين الماضي والحاضر، وكان لمخطوطاتها وكتبها طقوس خاصة للإمساك بها ومطالعتها، فهي الغرفة التي يدخل إليها إلَّا من كان على وضوء، فقد قيَّد الأب ولديه بآداب معيَّنة للجلوس داخل هذه القاعة. كما كان لهذه الغرفة قدسيَّتها الخاصة، ولكتبها ومخطوطاتها كذلك، وبعد أن أدرج العتوم وصف الغرفة وكيفيَّة تصفيف كتبها وكيفيَّة القراءة فيها راح يمعن في وصف أثاثها ومحتوياتها، فهو يصف مكتب والده البني الذي ورثه عن أبيه، كأنَّك تجلس عليه وتكتب عليه مذكَّراتك: «كان في الغرفة مكتب بني غامق أنيق ... اليمنى»[2].

فعمر قد حفظ تفاصيل هذه المكتبة لأنَّه قضى بين جدرانها وقتًا كبيرًا، فقد كان وأخته يختليان فيها وكأنَّهما يمارسان الشَّعائر الدِّينيَّة المُقدَّسة مثل الصَّلاة: « لقد حفظت تفاصيل هذه المكتبة ... والثَّرثرة تبطل الصَّلاة»[3].

كما يسرد أدقَّ تفاصيل هذه الغرفة من محتوياتها إلى طلاء جدرانها إلى عدد كتبها ونسخها، و كان الطِّفل الوحيد الذي يجالس الخطَّاطين وهم ينسخون الكتب والمخطوطات، هؤلاء الخطَّاطون الذين كان يستقدمهم الأب لمُدَّة أربعة أشهر من كل سنة لنسخ الكتب والمخطوطات النَّادرة التي أثرى بها الأب مكتبته.

---

(1) ا المصدر نفسه، ص33.

(2) أيمن العتوم، **أرض الله** ، ص34.

(3) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

المطلب الثاني: توبا كرمز للتأمل والتغيير الروحي

يوظف أيمن العتوم مجموعة من تقنيات السرد الأدبي التي تخدم بناء هوية البطل عمر بن السيد الشخصية، والتي شهدت تحولات جوهرية تنبع من صدمة وجودية حادة. تبدأ رحلة عمر بهروبه من قريته" فوتاتور" بعد موت شقيقته" آمنة" وهو يشاهدها تموت أمامه عينيه، حيث التهمها التمساح في مشهد لم يستطع عمر الطفل ابن العشر سنوات تجاوزه، موت آمنة التي كانت بالنسبة له الانتماء والأمان والذات العائلية، كان انشطارا نفسيا حادا داخل ذاته.

هذه الصدمة لم تكن مجرد لحظة عابرة بل لحظة تأسيس لهوية متشظية، فبموت آمنة التي تعد رمز الأمان والانتماء انهار عالم عمر، وقرر الهروب من" فوتاتور" تاركا والديه وقريته بحثا عن روح جديدة متوجها إلى توبا المدينة الروحية.

تمثل توبا مدينة روحية صوفية انقطع فيها عمر عن العالم الخارجي، وبدأ مرحلة جديدة من الجوع والزهد والتأمل كنوع من أنواع جلد الذات وتهذيبها، وكأنه يعاقب نفسه التي فرطت في آمنة وآثرت ذاتها عليها يقول «ربما ظلت ذكرى أختي تمنعني، ربما هيئتها كانت سببا، وهي تتمزق بين أنياب ذلك الوحش، ربما عيناها اللتان نظرتا إلي تلك النظرة التي انحفرت في وجداني حفرا»[1]

هذا الزهد والتحول الروحي ينقل شخصية عمر من عالم" فوتاتور" والانتماء الأسري إلى فضاء صوفي يعبر عن بداية إعادة تشكيل هوية جديدة ليس على أسس اجتماعية، بل على أسس روحانية داخلية تنبعث من ذات عمر وتبعث بها إلى شيء من السكينة والرضا، فالزهد

[1] أيمن العتوم، **أرض الله**، ص123.

هنا ليس طقوس دينية وحسب، بل طريقة للتخلص من آلام الماضي وتحرير الذات من الذاكرة المؤلمة.

اعتمد العتوم على تقنية تيار الوعي لتسريد هوية عمر المكلومة الزاهدة، حيث سمح بالغوص في أعماق عمر، فبعث بهواجسه وتساؤلاته وآلامه «هل تسامحينني؟ انحنيت وأنا أقبل التراب. لقد قطعت المسافة من توبا إلى هنا حافيا من أجل أن تغفري لي. »[1] وهذا يصور حالة عمر وتأثره بالصدمة، التي لم يستطع تجاوزها.

كما ينقل العتوم السرد بين الماضي والحاضر بطريقة غير خطية، على سبيل التقطيع الزمني مما يعكس التشظي النفسي والزمني في وعي الشخصية. يقول عمر ‹وكنت أهرب من ذكراها بالصلاة، أقف في الصف الأول من الليل، قبل أن يقوم المريدون للصلاة في الجزء الثاني منه، فأتلو سورة البقرة ثم أتلو سورة آل عمران، ثم لا أشعر إلا بيد تهز كتفي، يقول لي: ‹ لن تنساها›› فأستعيذ بالله من الشيطان الرجيم، ثم أكمل صلاتي»[2]

وهذا يبرز أن شخصية عمر لاتزال تحت الصدمة ولم تتخلص منها بعد ولازالت مستمرة بداخله.

كما نجد أن السرد في مرحلة توبا يتحول إلى سرد بلغة رمزية صوفية غنية بالمصطلحات الروحية التي تتناسب والفضاء الروحي. مثال على ذلك مقولة على لسان أحد المريدين «نحن مشاؤون يا أخي. نذهل عن أنفسنا بما نمشي. نحن في سيرنا إليه نتخلص من أدران الدنيا. كلما سرنا خطوة في تلك الدروب الطويلة سقطت عن أثوابنا خطيئة»[3] التحول الداخلي الذي يجده عمر بذاته يعكس هوية روحية جديدة.

---

[1] المصدر نفسه، ص 126.

[2] المصدر نفسه، ص124.

[3] أيمن العتوم، **أرض الله**، ص 125.

ونجد هذا في تكرار المونولوجات الداخلية والتأملات الوجودية التي يسأل فيها عمر ذاته، حيث قال: «لن أنجو من بين فكي تمساح لأموت تحت أنياب أسد، إذا كنت في المرة الأولى طفلا لم يكن يدري ما حدث، ولم يقدر على فهمه، فأنا الآن رجل عليه أن يحسن التصرف»[1] وهذا يعزز التغيير الداخلي للذات لا من الخارج، بل من الداخل العميق ومواجهة الهواجس بهوية متماسكة وذات متزنة أكثر صلابة.

[1] المصدر نفسه، ص139.

الفصل الثاني: تسريد الهوية في مرحلة العبودية:

المبحث الأول: مرحلة تشظي الهوية

المطلب الأول: الباخرة كمكان يهدد الذات لكنه يعزز القوة الداخلية

المطلب الثاني: التكيف النفسي والتشبث بالحياة

المبحث الثاني: مرحلة المقاومة النفسية ومحاولة التحرر

المطلب الأول: صراع الأنا مع الآخر في محاولة إثبات الهوية

المطلب الثاني: الأمان العاطفي من خلال العلاقات الإنسانية

المبحث الثالث: مرحلة التحرر الفكري والاستسلام الجسدي

المطلب الأول: ثبات الهوية واستقرارها

المطلب الثاني: الأمان الفكري والاستقرار النفسي

إنَّ تسريد الهوية هو محور هذه الدِّراسة، ولعل مرحلة العبودية هي المرحلة الأساس التي تبرز لنا ذلك الصراع الذي خاضه عمر بن سيد في التشبث بهويتها والدفاع عنها، غير أن تلك الظروف التي مرت على عمر جعلت منه يدخل في مرحلة تشظِّي وتفكك لهذه الشخصية، فتلك التحولات النفسية والوجودية التي خاضها عمر والمتمثلة في وقوعه في الأسر شكلت له صدمة نفسية جعلت من شخصية عمر تنكسر، وتتشظى، وتلقى في دوامة التشيؤ وفقدان الكرامة.

قبل الخوض في هذا المبحث، وجب علينا الوقوف أمام مصطلحاته، فهي مفاتيح البحث، لذا علينا أن نحدد مفاهيمها لنزيل عنها كل الغموض الذي قد يعتريها.

لا نريد الوقوف كثيرا أمام هذه المصطلحات، ولكن لنتعرف على مفهوم التشظي، حيث أنَّا قد وقفنا في مبحث سابق على مفهوم الهوية.

مفهوم التشظي:

1. لغة:

إنَّ البحث والتَّحرّي على مفهوم أي مصطلح في اللغة يوجب علينا الوقوف على المعاجم اللغوية للإحاطة بها، فعندما طرقنا باب معجم "لسان العرب" لابن "منظور" وبحثنا دلالة لفظ "التشظي" من خلال مادة (ش. ظ. ي) وهي تعني: ‹ و"الشظى" من النأَس: الموالي والتباع، وشظى القوم خلاف صميمهم، وهم الأتباع والدُّخلاء عليهم بالحلف، و"تشظي الشيء" تفرَّق وتشقَّق وتطاير شظايا، قال:

يا من أحسَّ بنيي اللذين هما كالدرنين تشظي عنهما الصدف

وشظاه هو، وتشظى القوم تفرقوا، قال:

فصده عن لعلع وبارق ضرب يشظيهم عن الخنادق

أي يفرقهم ويشقق جمعهم، وشظيت القوم تشظيه أي فرقتهم فتشظوا أي تفرقوا، وشظى القوم إذا تفرقوا ».[1]

وجاء في معجم الوسيط بمعنى التَّفرق والتَّشتت ‹تشظي العود: تطاير قطعًا، وشظى الشيء: شققه فلقًا، وقالوا تشظَّى الصدف عن اللؤلؤ تشقق عنه، وتشظى القوم تفرقوا».[1]

[1] ابن منظور، **لسان العرب**، مادة(ش–ظ–ى) دار صادرط3، بيروت، لبنان،1994، ج14، ص434.

وهو ونفس المعنى الذي ذهب إليه معاجم المعاني وكذا القاموس المحيط، فعمومًا فإنَّ التَّشظِّي تعني التَّفرق والتَّشقق والتَّشتت.

وهو ونفس المعنى الذي ذهب إليه معاجم المعاني وكذا القاموس المحيط، فعمومًا فإنَّ التَّشظِّي تعني التَّفرق والتَّشقق والتَّشتت.

2. اصطلاحًا:

يعتبر التَّشظي من بين أشكال التمرد الذي خاضها الرِّوائيُّون على الرِّواية الكلاسيكيَّة فالرّواية الحديثة أصبحت مرآة عاكسة لهذا العالم الذي نعيشه بكل حالات الضَّياع والفقد وكذا التَّشتت والتَّلاشي، فقد أصبحت الرِّواية تعبِّر عن تلك الأزمات المصيرية التي يخوضها الإنسان المعاصر، وتشتت ذاته، وغياب المنطق، كلّ هذا أدَّى إلى «اهتزاز الشَّكل الواقعي والكلاسيكي المعتمد على سرد خطي، والتزام منظور أحادي...لكن أحداث كثيرة زحزحت هذا المفهوم للواقع».[2] إذًا فإنَّ الرِّواية الجديدة رافضة كل الأقنعة الكلاسيكيَّة للرِّواية، وذلك القالب التي بنيت عليه لتقوم الرِّواية الجديدة بتأسيس وعي جمالي جديد شظى فيه السرد، وتلاشت فيه أدوار الشَّخصيَّات وتفتَّت فيه الأزمنة والأمكنة، وتتشظَّى فيه الحبكة التي كانت قائمة على مبدأ التَّسلسل والتَّرابط والمنطق.

فالرِّواية الحديثة تقوم على تشظي البنية الاجتماعية والفكرية وتمرُّد على الواقع الذي تأخذ منه مادتها الحكائية، فهي الرِّواية التي أصبحت تعكس فوضى الواقع وتفككه، فالسَّارد في الرِّواية الحديثة أصبح يسرد واقعًا متشظيًا متفككًا لشخصيَّات متفكِّكة تعاني الانشطار والتَّشظِّي «إذ أصبح السَّارد يحكي وهو يضع مسافة بينه وبين محكياته، ليكتشف ما هو

---

[1] إبراهيم مصطفى وآخرون، **معجم الوسيط**، مادة(ش–ظ–ى) مكتبة الشروق الدولية، (ط. 4)، القاهرة، 2004، ص483.

[2] محمد برادة، **الرواية العربية ورهانات التجديد**، دار الصدى، (ط،1)، الإمارات العربية المتحدة، 2011، ص51.

قابع تحت السَّطح، ويتيح للذات المشروخة المتشظية أن تشكك في تماسك الواقع وتقدمه بثقوبه وثغراته، بضوضائه وصمته».[1]

المطلب الأول: تهديد الذات وتعزيز القوة الداخلية

على الرَّغم من أنَّ رواية أرض الله هي سيرة ذاتية لعمر بن السيد إلَّا أنَّ العتوم قد أبدع في إبراز تشظِّي شخصيَّة عمر وتشتُّته خاصَّة بعد الصَّدمات النَّفسيَّة التي تعرَّض لها عمر، فأوَّل صدمة نفسيَّة تعرَّض لها عمر كان موت آمنة لتتفكَّك ذاته وتتشتَّت، ويعيد بنائها عندما ذهب إلى توبا لطلب العلم لتكتمل شخصيَّته وتزهر، لتأتي صدمة الأسر الذي تعرَّض له عمر، فكانت سببًا في تشظي شخصيَّة عمر وتفتت ذاته، فتغيَّرت حياته من ذلك السيد ابن السيد إلى العبد المملوك الذي تعرَّض لشتَّى أنواع التَّعذيب.

وقبل الخوض في سرد نتائج هذه الصَّدمة التي ألمت بعمر وكانت سببًا في تشظِّي شخصيَّته وانكسارها، وجب علينا أن نلم بمفهوم الصَّدمة النَّفسيَّة« فهي الكلمة اليونانيَّة التي تدل على جرح مع كسر تدل كلمة صدمة "Trauma" في اليونانيَّة على جرح مع كسر ومن مفرداته في اللغة الفرنسيَّة "Traumatisme " المخصَّصة على الأدق للحديث على الأثار التي يتركها جرح ناتج عن عنف خارجي».[2] فصدمة عمر هنا كما سبق وأشرنا تمثَّلت في أسره على أيدي المرتزقة الفرنسيين، ومشاهدته مقتل أمه وأبيه أمام مرأى عينيه واقتياده إلى جزيرة "غوريه" وحجزه في بيت العبيد في انتظار الباخرة التي ستنقله إلى العالم الجديد، فعمر الذي كان يسكن أكبر بيت في فوتاتور وكانت غرفته بحجم منزل من منازلها، يتشارك هو

[1] محمد برادة، **الرواية العربية ورهانات التجديد**، ص97.

[2] بو معزوزة نسيمة، أعمال موجهة وحدة علم النفس الصدمة، ص4.

وأزيد من 150 عبدًا غرفة واحدة، حتَّى أنَّهم ينامون بالتراتب فينام عشرون بعد عشرون مدة ساعتين فقط.

فكيف كان منزل العبيد بـ "غوريه" والباخرة مكانًا هدَّد ذات عمر؟ وكيف تمكَّن عمر في ظل كل تلك الظروف التي كان يعيشها أنَّه تشبَّث بعقيدته ودينه.

1. تهديد الذَّات:

ونقصد بتهديد الذَّات هنا: تهديد الجسد، ولنتحدث أولًا عن الأساليب التي استعملها تجار الدقيق في إفريقيا لترويض العبيد، فقد اعتمد هؤلاء على نهاك الأجساد وتجويعها وتعذيبها حتى تكون طبعة لهم يوجهونها كيفما يشاؤون. « واذا كان ماضي البشرية نشينه ويخجله صورة العبد الإفريقي الذي اختطف وربط بالسلاسل في رحلة عذاب طويلة إلى أرض القارات الأمريكية ليخدم السيد الأبيض ويفعل به ما يشاء»[1]، فهذا وليام لنش ينصح أبناء جلدته من البيض في كيفية ترويض العبيد الزنوج المستقدمين من مستعمرات افريقيا، فهو ينصحهم باستعمال الترويض النفسي «...وسيلة مجربة يمكنكم من خلالها السيطرة على عبيدكم السود وإني أضمن ... إني أبحث عن عدد من الاختلافات بين العبيد وأخذ هذه الخلافات وأعمل على تضخيمها، واستخدم واستعمل الخوف وعدم الثقة والحسد لأغراض السيطرة».[2]

هذه الوسائل التي استعملها الرجل الأبيض نفسها التي استعملت مع "عمر بن سيد" من أجل ترويضه، وترضيخه، وكسر روحه، الأمر الذي جعل من ذاته متشظية متفرقة فهو في صراع دائم بين عمر السيد وعمر العبد، وقد تفنن الرجل الأبيض في تهديد ذات عمر وغيره

---

[1] عايدة العزب موسى، **العبودية في إفريقيا والتاريخ المفقود**، دار الشروق الدولية، (د . ط)، (د . ت)، ص15.

[2] أيمن العتوم، **أرض الله** ، ص.17

من العبيد مستعمل مجموعة من الأساليب التي كسرت ذاتهم، وتفننت في إذلالها وإخضاعها لتلبية رغباتهم وخدمتهم.

1/1. التجويع:

يعد التجويع، أحد الجرائم والانتهاكات للإنسانية جمعاء، فالإنسان الذي يتعرض للتجويع يصبح غير قادر على التفكير، خاضع لسيده الذي قام بتجويعه لأجل الحصول عللا لقيمات تسد رمقه، وهذا الفعل الشنيع ما قام به تجار العبيد منذ زمن بعيد حتى يقوموا بترويض العبيد وإخضاعهم، وأثناء تواجده "بغوريه" وكذا على متن الباخرة المتجهة إلى "تشارلستون "تعرض عمر مع غيره من العبيد لهذه الجريمة النكراء. «مر اليوم الأول ولم يأتونا بلقمة واحدة من أجل أن نأكلها ولا حتى بكأس ماء ولومن ماء البحر المالح حتى نشربها»،[1] فقد تعمد التجار أن يحكموا الخناق على العبيد من أول يوم حتى يجعلوهم تحت سطوتهم ويخضعوا لهم، ويستنزفون قواهم بالكامل «أنا الآن جائع»،[2] فعمر مع أقرانه من العبيد خلال هذه المدة الطويلة التي قضوها في بيت العبيد والتي قاربت على الثلاث والخمسين يومًا لم يتناول إلا لقيمات كانت تعطى لهم من حين الى آخر فتسلم الى رئيس العبيد الذي يقوم بتوزيعها عليهم فيتناول كل واحد منهم لقمه فقط لسد رمقه هذه السياسة التي اتبعها السيد الأبيض وهؤلاء التجار مع العبيد جعلتهم لا يفكرون إلا في الحصول على الطعام والجوع الذي يمزق أمعائهم فصرفوا اذهانهم عن التفكير في طريقه للخلاص من أسرهم.

بل كان العبيد عندما يذهبون الى التزين وهو ميزان يوضع عليه العبد فإذا وصل وزنه الى مئة باوند رحل الى العالم الجديد وإلا اخذ الى زنزانات التسمين إذا كان لا ينقصه الكثير عن

---

[1] المصدر نفسه، ص187.

[2] المصدر نفسه، ص207.

الميزان المطلوب فكان العبيد سعداء لأنهم ذهبوا إلى التوزين فهذا دليل على انهم سيغادرون الجزيرة قريبا وكأنهم ذاهبون الى الخلاص.

لتبدأ سلسله اخرى من التجويع والتعطيش فبعد أن اقتيد مع غيره من العبيد داخل القبو في قاع السفينة فلم يتذوقوا طعم الماء الا بعد ثلاثة أيام حيث راح الرجال المدججون بالسلاح يسكبون الماء من فوق الفتحة المعدة لطعامهم ومشربهم ‹الآن اشربوا ألستم عطشى... هيا ...هيا أيها الجنود الملاعين»(1).

هذه الفتحة نفسها جعلت لتطعم العبيد، فمن خلالها يسكب الطعام أو الماء ويتدافع العبيد تحت هذه الفتحة لأجل الحصول على قطرة ماء أو لحسة حساء. «فتحو الفجوتين من جديد لابد أنَّ خيرًا نازلًا من السماء هذه المرة نعم إنه الطعام لكن الفرصة الان في الحصول عليه أصعب من المرات السابقة مع اكتظاظ المكان وصعوبة التزاحم بدؤوا بسكب الطعام كان مرقًا ساخنًا وكان يمكن أن يؤذي الوجه لسخونته ولكن صوت الحياة كان طاغيًا... »[2].

هذه السياسة التي اتبعها هؤلاء التجار، جعلت من العبيد خاضعين›[3] لهم حتى أنهم لم يتذمروا من أسرهم بهذا العدد الهائل في القبو بل أن كل ما فكروا به هو صعوبة حصولهم على قطرة ماء أو بعض الطعام مع عددهم الكبير وهذا فكان الإذلال بالتجويع أول خطوة في قمع القدرة على التمرد أو التفكير في الهروب.

---

(1) المصدر نفسه، ص209.

(2) أيمن العتوم، **أرض الله** ، ص225–226.

(3) علاء عبد الرحمان، هذه أبرز جرائم التجويع في المنظمة خلال الحروب، الملايين فقدوا حياتهم، عربي21، https://arabi21.com/ 7:13، 25 جوان 2024

2/1. التعذيب:

التعذيب هومن بين السياسات التي ينتهجها السيد الأبيض من أجل ترويض العبيد فكان الصوت رمزا له وكذلك القتل حتى يكون عبرا لغيره من العبيد «لا تقتلني أرجوك لا تقتلني لكن هذه اللغة لا تفهمها هذه الوحوش ضغط الجندي على الزناد فانفجر رأسه على الفور».[1]

لم يكن الجلد رد فعل على خطأ ارتكبه العبد بل كان عادة يومية تطبق على العبد لإخضاعهم وترهيبهم وكذا كان كنوع من الترفيه لهؤلاء التجار الذين يقبعون بعيدين عن عائلاتهم وسط البحر‹ والويل كل الويل لمن تندَّ منه صيحة اعتراض أو احتجاج كان الصوت بانتظاره»[2] لقد اتخذ هؤلاء من التعذيب كوسيلة مدمرة للنفوس العبيد واذلالهم وامعنوا في ذلك فعلى الرغم من أنهم كانوا يحشدونهم في غرف الواحد فوق الآخر، إلَّا أنَّهم إمعانًا في إذلالهم وإخضاعهم إذا سوَّلت نفس أحدهم على التمرد أو التذمر أن يسجن وكأن المكان الذي يقطنونه ليس بالسجن فيزجون بهم في زنازين عبارة عن حفرة عميقة لا يستطيع الواحد فيها أن يجلس بل يدخلها زاحفا لا تتسع إلا لشخص واحد ولكن عمر زج بها مع اثنين من إخوته ‹كان فتحة عميقة أو حفرة افقية في جدار صخري كان ارتفاعه ذراعًا واحدًا فقط كان على كل واحد أن يجثوا على أربع مثل حيوان أو كلب».[3]

لقد أمعن هؤلاء في إذلال العبيد وإخضاعهم لهم. فكان الجلد هو الموسيقى اليومية التي يستمع لها العبيد فكانت سياط الجلادين تتكلم بدلًا عنهم وكانت أجسادهم هي تلك الأوراق التي اتخذها الجلاد ليخط عليها عبارات قهره وإذلاله هؤلاء

---

[1] أيمن العتوم، **أرض الله**، ص180.

[2] المصدر نفسه، ص190.

[3] المصدر نفسه، ص202.

لقد أمعن هؤلاء في إذلال العبيد وإخضاعهم لهم. فكان الجلد هو الموسيقى اليومية التي يستمع لها العبيد فكانت سياط الجلادين تتكلم بدلًا عنهم وكانت أجسادهم هي تلك الأوراق التي اتخذها الجلاد ليخط عليها عبارات قهره وإذلاله هؤلاء.

3/1 . الاغتصاب:

إنَّه انتهاك الحرمات وقتل النفس والروح هوما تعرضت له النساء الزنجيات بداية على متن جزيرة "غوريه"، حيث كانت النساء تتعرض يوميا للاغتصاب فقد وضعت النساء في زنازين خاصة وكل يوم يأتي أحدهم ويختار من النساء الزنجيات من تح لوله ليغتصبها وينتهك حرمة جسدها وروحها، بل كانت النساء العذراوات توضعن في زنازين خاصة أو بربط شريط على أرساغهم لتتميز عن غيرها فهي الأغلى ثمنًا« في زنازين النساء كانت العذراوات الشابات يصنفن انهن الاغلى والأهم فكانت زنازينهم تحوي على زاويه تقضى فيها الحاجة»[1] وقد كان الضباط يكسرون مللهم ويرفهون على أنفسهم باغتصاب النساء وتفريغ شهواتهم فيهم "تمر على الضابط الموكل ببيت العبيد كان يمد رجليه على الطاولة في مكتبه وينظر من خلال نافذته الى زرقة البحر ويطلب من أحد جنوده أن يأتيه بعذراء»[2]، «فالاغتصاب هو انتهاك للأرواح ونوع من التعذيب الذي يسلط على المرأة»،[3] لذا فقد تحدث العتوم بكثير من التفصيل عن هذه الطريق المهينة في تعذيب العبيد وإذلالهم وجعل فصلا كاملا تقريبا يصف فيه ويطيل في كيفيه الاغتصاب وكيف صارت الزنجيات تتقبلن

الاغتصاب كوسيله للبقاء وحمايه الروح والحصول على أكبر قدر من الطعام ‹ لوكنت عذراء لفعلت الشيء ذاته على الأقل ستحظين بطعام مرتين أو ثلاثًا في اليوم»[4] فأصبح الجسد

---

[1] أيمن العتوم، **أرض الله** ، ص191.

[2] المصدر نفسه ،ص192.

[3] العنف الجنسي والعنف الجنساني، ملف صدر عن مجلس حقوق الإنسان، الدورة الثالثة والخمسون من 19 يونيو إلى 14 يوليو2023، البند الرابع من جدول الأعمال، هيئة الأمم المتحدة https://www.ohchr.org

[4] أيمن العتوم، **أرض الله**، ص197.

وسيلة للحفاظ على الحياة فبالإضافة الى كل هذه الطرق السابقة التي استعملها الرجل الأبيض لترويض العبيد وإذلالهم من تجويع وإذلال وتعذيب واغتصاب« لقد كنت ولدا مطيعا»[1] وهو الفصل الذي تحدث فيه العتوم بشكل مسهب عن هذه الوسيلة الشنيعة من التعذيب فقد اتخذ هؤلاء طرق أخرى من الإذلال والإخضاع كتعرية الجسد وإشعارهم بالدونية من خلال وزنهم بموازين الدواب والعلف «حين يحين دور الواحد منهم يصعد على ذلك الميزان الذي كنا في قريتنا نزن فيه العلف للدواب نعم نحن في اعتبارهم أقل من الدواب»[2] فقد قتلوا في هؤلاء العبيد إنسانيتهم، ونجحوا في ذلك« أثار الآن حيوان على الحقيقة لقد نجحوا للوهلة أن يجعلوني أشعر هذا الشعور أني دابة».(3)

فقد جرد الأسرى من ملابسهم وكرامتهم وتم تقييدهم في أوضاع مهينة «جميعنا كنا مربوطين بسلسلة واحدة طويلة تجمع أولنا الى آخرنا في عدد كبيرٍ جدًا»(4)، وحُبِسُوا في وضعيات صعبة وعوملوا كما الحيوانات، ومنعت عنهم رؤية الشمس أو الحرية في الحركة، من خلال تكديسهم بأعداد كبيرة جدا داخل الغرف، فقدْ فَقَدَ هؤلاء الشعور بالزمن والواقع وأصبحت أجسادهم مجرد أرقام وسمت عليهم بالنار «هيا، هاتوا الحديد، كانت قد أشعلت نار في موقد خاص [...] ثم يسموننا واحدًا واحدًا، كان الوسم بالنار من أشد الاهوال التي عانيتها... حتى يغوص الحرفان المحميان في اللحم»(5)

---

[1] المصدر نفسه، ص196–204.

[2] المصدر نفسه، ص209.

[3] المصدر نفسه، ص210–211.

[4] المصدر نفسه، ص 212.

[5] المصدر نفسه، ص 111.

2/ تعزيز القوة الداخلية:

على الرغم من كل تلك الأساليب التي اتبعها التجار في إذلال العبيد وطمس هوياتهم إلا أن عمر تخذ من إيمانه ملاذًا للهروب من الواقع الذي أُدخل فيه عنوة فعمر الشاب الحر الذي عاش سيدًا في قومه يتحول أسيرا جردت منه هويه الانسانية ومع ذلك، فإن لحظة الانكسار هذه تحولت الى نقطة بداية لتشكل القوة الداخلية لديه، فقد أدرك عمر أن العبودية ليست فقط سلاسل في الأيدي بل هي محاولة لسحق الروح والهوية «حملونا على عربات تجرها الخيول رمونا مع قيودنا مثلما ترمى أجولة الحنش»[1] فيبدأ بالمقاومة الصامتة من خلال المحافظة على كرامته وعدم الاستسلام نفسيا القوة التي بناها عمر ليست قوه جسدية بل هي قوه روحية داخلية مستمدة من إيمانه بالله وتاريخه الاسلامي.

1/2 . توكيل الآيات القرآنية:

كان عمر يعيش بداية انكسار جسدي إثر التعذيب والتجويع وشتى أشكال الإهانة التي تعرض لها من قبل التجار ولكن سرعان ما بدأ عمر يتخذ من القرآن مصدرًا للأمان فلم يكن توكيل القرآن هنا مجرد عادة دينية بل تحول إلى ملاذ روحي للهروب من قسوة الواقع الذي

سُلِّط عليه حيث أنه عزل نفسه عن الألم المحيط به واستدعى ما يستطيع أن يغذي روحه بها ففي بداية الأسر عندما وضع عمر في جزيرة "غوريه" المنطقة المرعبة التي يفصل فيها الأسرى عن أوطانهم وتمارس ضدهم كل أشكال القمع استحضر عمر الآيات القرآنية في ذهنه كوسيلة تنقله من مشهد السواد الخارجي إلى النور الداخلي «أنا الآن حيوان... لمعت في خاطري آية التكريم في سورة الإسراء {ولقد كرَّمنا بني آدم} فازداد ارتجا في وترددي».[2]

---

[1] أيمن العتوم، **أرض الله** ، ص178.

[2] المصدر نفسه ، ص110–111.

ففي اللحظة التي اقتيد فيها عمر للتوزين كأنه شاة تذكر أن الله كرم الإنسان وخلقه وأحسن خلقه، وكانت هذه الآية عبارة عن صفعة على وجه عمر جعلته يتذكر أن الله الكريم لن يتركه وحيدا {وأن بعد العسر يسرًا} فقد كانت الآيات القرآنية ملاذ عمر، وعندما يشاهد ما سلط عليه من قمع وعذاب، يتخذ منها علاج يداوي روحه المكلومة «... وبدأنا نبول على أنفسنا، راجعت ما أحفظ من القرآن، نسيت هول ما أنا فيه».[1]

ومن رحم الأزمة تولد الهِمَّة وهذا ما حدث لعمر، وهوفي غمرة الأسر جعل من نفسه داعية ينشر الإسلام الروحي في من حوله «في الليل قبل أن تخلد الى النوم أجسادهم المتعبة وأرواحهم التائهة وأحزانهم العميقة، كنت أقرأ عليهم آيات القرآن».[2]

2/2. الدعاء وإقامة الآذان:

كان الدعاء وسيلة ثانية اتخذها عمر للبحث عن السلام الداخلي والتشبث بعقيدته الإسلامية وقيمه الدينية التي فطر عليها ورسخت في ذهنه منذ نعومة أظافره فقد كان التضرع الى الله وسيلة للخلاص «يا رب إبراهيم ماذا يحدث لي؟ ماذا يحدث لنا؟ أي ذنب ارتكبته حتى يكون هذا جزائي».[3]

فها هو عمر يتساءل على الذنب الذي اقترفه حتى عاش هذه التجربة الأليمة فهو عمر الطفل المسلم الذي حفظ القرآن منذ الصغر، وكان بارًا بوالديه وانقطع خمس وعشرين سنة من النفقة في طلب العلم، كان التضرع لله هو السبيل الوحيد الذي وجده عمر في خضم هذه

---

[1] المصدر نفسه، ص203.

[2] المصدر نفسه، ص244.

[3] المصدر نفسه، ص201.

المأساة التي يعيشها، بل أنه احيانا كان يطلب من الله أن يأخذ روحه من هول ما سُلِّط عليه ‹سألت الله أن يأخذ روحي برفق وأن يرحم أخي الذي مات›،[1] كان عمر يدعو الله في خلوته كان ظنه بالله خيرا «ومن كان عند الله فمن يستطيع أن يضره».[2]

الدعاء وسيلة المظلوم وليس بين دعوة المظلوم والله حجاب وعلى الرغم من أنَّ عمر دعا الله كثيرا أن يفك كربه ويطعمه وإخوته إلا أن الله أعطاه هذا الأمان الداخلي وحسن الظن به ‹فالدعاء أساس العبادة وسر قوتها وروح قوامها لأن الداعي لما يدعو الله وهو عالم يقينًا أن لا أحد يستطيع ان يجلب له خيرًا أو يدفع عنه ضرًا إلا الله وهذه هي حقيقة التوحيد والإخلاص ولا عبادة أعظم منها {فالدعاء مخ العبادة} كما يقول الترمذي أي سر قوتها».[3] وللبحث عن المزيد من الأمان والسلام النفسي والروحي اشتاق عمر لسماع الآذان فما كان منه إلا أن رفعه «اشتقت الى الاذان الذي تنسجم حروفه جوارحي، وتلتئم على إيقاعه جروحي ... »،[4] إنه الآذان الذي يأخذ عمر في رحلة الى البرزخ ينتقل به من واقع الأسر والقهر الى عالم الحرية والسباحة في ملكوت الله، لم يكتفي عمر برفع الآذان فقط بل أنه جعل من يتشاركونه محنته يتشاركون معه نداء الأمان والسَّلام ‹بسطت كفي ووضعتها على أذني [...] بكى بعضنا وحنَّ بعضنا الى أهله وخفقت قلوب الآخرين... »[5] وهو في جوف السفينة لم يتوانى عمر عن ذكر الله والتهليل له بل أنه كان يدعو غيره من العبيد الى الله ويشرح لهم مبادئ دينه ويتلو عليهم في الكثير من الأحيان كلام الله بل أنه كان يرفع الآذان،

---

[1] أيمن العتوم، **أرض الله** ، ص203.

[2] المصدر نفسه، ص208.

[3] ينظر: منزلة الدعاء في العبادة: شرح حديث (الدعاء مخ العبادة)، موقع إسلام ويب 8 مارس 2008 https://www.islamweb.net/

[4] أيمن العتوم، **أرض الله**، ص208.

[5] المصدر نفسه، ص208.

ويؤمهم لأداء الصلاة « عندما اغتسلت لبست ثوبي ... نظرت الى جهة الشرق الى مكة توجهت وبدأت أرفع الآذان».[1]

فقد كان عمر شجاعًا يرفع الآذان بصوت جمهوري وبمسمع ومرأى من هؤلاء الذين أسروه وتحت تهديد سلاحهم فهو مؤمن أن الله الذي وضعه في هذا الامتحان قادر على أن ينجيه منه.

3/2 . ثبات العقيدة والتفاؤل:

ثبات عقيدة عمر في مرحلة بداية أسره على جزيرة "غوريه" وعلى متن الباخرة المتجهة الى "تشارلستون" يظهر بشكل لافت فعلى الرغم من أنه يواجه أقسى لحظات حياته من إذلال وتعذيب نفسي وجسدي إلا أنه بقي متمسكًا بدينه ويظهر ذلك من خلال سلوكه وحتى في طريقه تفكيره وسط هذه المعاناة فهو يحتجز في قبو خانق بلا ضوء ولا طعام، وبرفقة العديد من الذين يعانون مثله، ولكن رغم ذلك لم يفقد إيمانه بل اتخذ من الصلاة وسيلة للثبات والصمود «الله واحد. خلق الخلق كله، خلق الموت والحياة، خلق الداء والدواء، خلق هذا الابتلاء، الذي أنتم فيه ... لا تيأسوا من رحمة الله»،[2] فعمر كان باعثا للأمل محفزًا للهمم يحدث هؤلاء الذين تشاركوا معه مصيبته، ويدعوهم الى الثبات فالذي وضعهم في هذا الابتلاء قادر على أن ينجيهم منه «إنها أقدارنا والله يختار لنا، لو عرض لنا ما صرف عنا لاخترنا ما أراد ثقوا بالله سننجو».[3]

إن هذا الثبات العقائدي الذي اتسم به عمر لم يكن فقط من قوة شخصيته بل من قناعته العميقة بأن الإيمان هو الشيء الوحيد الذي لا يمكن لأن يسلبه منه، على الرغم من أنهم سلبوا حريته ووطنه ولكن ما رسخ في الروح لن يمحى أبدا. ففي زنزانات الجزيرة اختبر

---

[1] المصدر نفسه، ص246.

[2] المصدر نفسه، ص205.

[3] أيمن العتوم، **أرض الله** ، ص223.

إيمان عمر في أقسى حالاته، وهو في ذلك القبو الرطب المظلم وهولا يعرف ليله من نهاره لا يسمع إلا أصوات العويل والبكاء لكن رغم ذلك تمسك بصلاته أدرك أن الله سيقبل منه صلاته ولو كانت في مكان نجس المهم أن يقيم "الشعيرة" وألا يفرط فيها. فثباته في هذه المرحلة يؤكد أن التمسك بالجوهر في غياب كل ما ظهر من وطن وأهل ولغة هوما يجسد الايمان، وهوما يعطي الحرية، فكان سلامه الروحي وثباته العقائدي مقاومة روحية هادئة تعلن رفضها لهذا الأسر وهذا الإذلال الذي سلط عليه وهذا ما حاول عمر أن يثبته في نفوس مجاوريه من العبيد، وهو يجيب على تساؤلاتهم ويعطيهم جرعات من الأمل من خلال تقديمه للدروس الإيمانية لهم كل ليلة، «صار لدي درس إيماني لهم كل ليلة أقرأ عليهم من القرآن نحوا من ساعة، بدأت كلمات الله تعالج جروحهم».[1]

فقد اتخذ عمر من بيت العبيد في جزيرة "غوريه" وكذا قاع السفينة المتجهة الى "تشارلستون" منبرًا يدعو فيه إلى ديانة التوحيد ويبث الأمل في نفوس هؤلاء الزنوج ويعلمهم تعاليم الدين وأصوله فيقيم معهم الصلاة ويحفظهم آيات القرآن الكريم وكأنه يستذكر حياته في توبا وهو يدرس لتلاميذه.

[1] المصدر نفسه ، ص244.

المطلب الثاني: الهوية المفقودة والذكريات

ترتبط الهوية ارتباطا وثيقا بالذات حيث أن «تكوين الهوية يقوم على تجاوب الذات كمحدد للهوية فكل تغيير أو تجديد في الذات يتضمن بطريقة آلية تغييرا أو تجديدا في الهوية، وكما أن كل اختلال في الذات يحدث اضطرابا في الهوية وفقدانا للأنا»(1)

كما أن الاغتراب يعد اضطرابا وتشويها للأنا، ويدفع بها للتشتت والانشطار، فالاغتراب هو شعور يتولد باعتباره نتائج فقدان الهوية أو ضعف الشعور بها، وعلى اختلاف أشكاله ومظاهره (المكاني، الاجتماعي، الروحي...) يعد من أكثر ما يؤثر في الإنسان سواء على مستوى ذاته أو علاقاته ‹فعندما تتعرض الشخصية الإنسانية في جوهرها العقلي أو الثقافي أو الاجتماعي لنوع من التشويه والاغتصاب تحدث عملية اغتراب وتشويه»(2)

وقد لاقى بطل رواية أرض الله عمر بن السيد من الاغتراب والاقتلاع من جذوره ما لقى، حيث رحل قسرا من وطنه وسلب حريته في تعدي صارخ على هويته وطمس لكل مقوماتها من انتماء سواء ما تعلق بالقومية أو بالرقعة الجغرافية ونخص بالذكر ما تعرض له في الباخرة على يد مختطفيه، وسنفصل هذا في بضع نقاط:

1. الاغتراب والصدمة:

عاش عمر في الباخرة صدمة كبيرة بعد أن انتزع من أرضه، وأهله، ولغته، ومن دينه الإسلامي الذي كان أول مقومات هويته.

---

(1) بوزغاية وفاء وحملة فريال، **(تشظي الذات والبحث عن الهوية في رواية حطب سراييفو لسعود خطيبي)**، جامعة محمد خيضر بسكرة، 2021، ص44.

(2) فائزة خمقاني، **(أثر الفضاء والزمن في تقصي ملامح الهوية، مجلة الأثر)**، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، العدد28، جوان2017، ص251.

فصدمة اقتحام البيت وتقتيل أهله أمام ناظريه واقتياده كعبد بعد أن كان حرا طليقا سيدا، ليجد نفسه مجرد رقم بين أكداس الجثث السوداء المتراكمة فوق بعض يقول عمر واصفا اللحظات الأولى التي أفتتح فيها باب الجحيم «انطلقت رصاصة من جندي خلفي لا أدري إن كان قد صوبها إلى رأسي أم إلى رأس أبي، لكنها اختارت رأس أبي»(1)

تعرضت عائلة عمر لتنكيل ومسح من الوجود كطمس للهوية ومسح لها على غرار باقي عائلات فوتا تور «لا أدري إن قتلوها أم بقيت حية؟ على الأرجح قتلوها لكبر سنها. لا أدري كيف سيدفنون أبي؟ ربما أحرقوه، مثلما أحرقوا عشرات الجثث»(2)

ثم إنه فقد الانتماء بترحيله من الساحل الإفريقي نحو وجهة مجهولة «ودفعوا بنا على القوارب. ستكون هذه السماء آخر سماء لي في بلادي، سيكون هذا الهواء، هذا التراب، هذا الماء، وحتى هذا العذاب»(3)

هذا الاغتراب والترحيل جعل عمر يفقد نفسه، وأحدث شرخا كبيرا في ذاته حتى أنه لم يعد يعرف نفسه، يرى بعض الدارسين . إريك فروم . أن «الإنسان المغترب هو إنسان مريض من الناحية النفسية»(4) وهذا ما يجعله متشظيا في عالمه مضطربا في تصرفاته، يعيش حزنا داخليا انفصالا عاطفيا علائقيا مع عالمه الخارجي.

2 . فقدان الهوية:

(1) أيمن العتوم، **أرض الله**، ص172.

(2) المصدر نفسه ، ص176.

(3) المصدر نفسه، ص213.

(4)ينظر: حسن حماد، **الإنسان المغترب عند إريك فروم، مكتبة دار الكلمة**، (د، ط)، القاهرة، مصر 2005، ص221.

الصدمة التي تعرض لها عمر والاغتراب والانتزاع من هويته وطمسها، جعله يفقد أهم مقوماتها بترحيله من وطنه‹ فالتغني بالأوطان والأماكن وتفضيلها عن غيرها من الأماكن يعد جزء من العقيدة المقدسة كما أن اللغة تعد مصدر للفخر والاعتزاز»(1)

فبفقد عمر لوطنه وأهله وكذلك فقده لاسمه ولغته «هتفت: أنا عمر..."عمر بن سيد"..."سيد الفوتي "...من "فوتاتور" ...أبي سيد قريتنا»(2) جعل منه غريبا يحاول إثبات نفسه في وسط هذا الضياع. كيف له أن يكون لا شيء بعد أن كان كل شيء في "فوتاتور"، فالاسم أول مقوم للذات وبفقدانه يفقد المرء كل شيء.

في وسط هذا الشعور باللا انتماء والاغتراب المكاني والوجودي حاول عمر إثبات نفسه والبحث عن هويته المفقودة بصراخه وسط هذا الكم الهائل من العبيد بني جنسه، ليجد نفسه نكرة ولم يتعرف عليه أحد «أيقنت أنهم ليسوا من بلادي، هتفت في نفسي: لكنهم يشبهوننا؛ بم؟ في اللون، والطول، والعملقة؟»(3) استخدم العتوم تقنية المونولوج الداخلي، أوما يعرف بـ (تيار الوعي)، لعرض أفكار عمر من داخله كوسيلة لتفريغ الضغط الداخلي الذي تمر به ذات عمر، فالشخصية المصدومة، كحالة عمر تهرب لحديث النفس كمتنفس لما تمر به من صدمة نفسية، وكمحاولة للهروب من الواقع وإعادة ترتيب أفكاره للحفاظ على الذات المتشظية من وقع الصدمة، وحمايتها من الانهيار، وكذلك لإعادة بناء الذاكرة، مم يعكس صراعا داخليا بين نسيان الذكريات المؤلمة والرغبة في التمسك بها.

فالمونولوج الداخلي هنا لم يكن تقنية سردية لتسريد الهوية فقط، بل كان مرآة للانكسار النفسي، وفي ذات الوقت وسيلة بقاء وتشبث فيم تبقى من الهوية المتشظية.

---

(1) ينظر: محمد العربي ولد خليفة، **المسألة الثقافية وقضايا اللسان والهوية**، ديوان المطبوعات الجامعية، منشورات ثالة، (د، ط)، الأبيار، الجزائر، 2023، ص109.

(2) أيمن العتوم، **أرض الله**، ص185.

(3) المصدر نفسه، ص187.

3 . التشبث بالذكريات:

بعد تخلل هوية عمر وفقدان أهم مقوماتها، بفعل الصدمات وما تعرض له من طمس للهوية وسلب للحرية وتغريب عن أهله ووطنه، حاول ترميم ذاته من خلال التشبث بالذكريات وبعث الأمل فيها من جديد، كمحاولة منه لإعادة لملمة ذاته المتشظية، ونوع من المقاومة النفسية، أو حتى الهروب من واقعه المؤلم الذي أبت روحه التأقلم معه رغم التكيف الجسدي الذي مارسه.

«اشتقت إلى صوت الآذان الذي تنسجم على حروفه جوارحي، وتلتئم على إيقاعه جروحي... بسطت كفي، ووضعتها على أذني، ورفعت صوتي "الله أكبر ...الله أكبر..." فردد معي بعض العارفين بالعربية ... »[1] حنين عمر إلى مقدساته ورموز هويته من معتقد وممارسات دينية، كالآذان الذي كبر عليه وألفته روحه، وتشبثه به في مثل هذه الظروف، كترياق لروحه المكلومة وترميم لذاته المتداعية، كما أنه يحن لتوبا المدينة الروحية، حيث الهدوء والجمال «لقد عشت في توبا خمسة وعشرين عاما، وأعرف أن الرغبة شيطان بألف قرن، لقد دربت نفسي تماما على أن أتحاشاه... »[2] تشبث عمر بذكرى توبا وبكل ما تعلمه وتدربت نفسه عليه، من زهد فيم عند غيره وإيمان وروحانيات، رغم ما يعيشه من قهر وحاجة لأبسط مقومات الحياة.

تشبث عمر بأمل اللقاء رغم استحالة حدوثه، ولكن عقيدته الإسلامية دفعته لبعث الأمل في روحه «إخوتي إنها أقدار. والله يختار لنا. ولو عرض لنا ما صرف عنا لاخترنا

---

[1] المصدر نفسه، ص208.

[2] أيمن العتوم، **أرض الله** ، ص207.

ما أراد. ثقوا بالله وستنجو»(1) عمر لا يقاوم فقط بالذكرى والتشبث بالأمل وبالإيمان، بل يقاوم أيضا بالدعوة إلى الحق وتثبيت من معه من العبيد وتذكيرهم بأن هذا قدر من أقدار الله وتعزيز هويته الإسلامية وما نشأ عليه من عقيدة سواء في بيته وهو طفل بين أسرته، أو كشاب في توبا على يد معلمي القرآن والمريدين.

(1) المصدر نفسه، ص223.

المبحث الثاني: مرحلة المقاومة النفسية ومحاولة التحرر

تعد هذه المرحلة أهم مرحلة تظهر ذلك الصراع النفسي الذي يخوضه عمر، ويبرز فيه المقاومة النفسية ومحاولة تحرره فبعد أن أسر واعتقل وسلبت منه حريته بدأت مرحلة جديدة من معاناته عند ذلك السيد المتسلط "جونسون" لم يكن القيد الذي سُلِّط على عمر هنا قيدًا جسديًا فقط بل هو قيد نفسي فعمر في هذه المرحلة يقاوم بشتى الطرق محاولات تذويبه وتفريغه من هويته فكان ذلك الصراع الذي حدث بين ذات عمر وذلك الآخر المتمثل في السيد الأبيض فالأول "عمر" يحاول إثبات هويته بشتى الطرق والآخر "السيد الأبيض" يحاول طمس هذه الشخصية ومحوها.

المطلب الأول: صراع الأنا مع الآخر في محاولة إثبات الهوية

يعتبر صراع الأنا مع الآخر من «أهم القضايا التي عالجها الروائيون في الروايات الحديثة وذلك من خلال تصوير الروائيين في هذه الاعمال الأدبية»[1] هذا الصراع القائم بين الشرق والغرب فهناك من يرى أن هذا الآخر هو العدو اللدود ويجب علينا رفع الستار عنه لنرى قيمة بشاعته وظلمه ونذالته، بسبب ذلك القمع والتهميش الذي يمارسه مع غيره، هناك من هو معجب بهذا الآخر ومنبهر به، فحاول محاكاته وتقليده.

«ولعل هذا الصراع الدائر بين الأنا والآخر في السرد الحديث شغل أقلام الروائيين وأسال حبرهم، فالآخر يحاول بشتى الطرق طمس معالم شخصية وهوية "الأنا" هذا الاخير الذي

---

[1] ينظر: أسماء رزايقية أميرة شيتوي، **(الأنا والآخر في رواية مروان لبن يحيى محمد سفيان)**، مذكرة ماستر في الأدب العربي جامعة 8 ماي 1945 قالمة–قسم اللغة العربية، ص1.

يحاول إثبات هويته»،[1] فكيف تجلَّى هذا الصراع في رواية "العتوم" وكيف حاول الرجل الآخر والمتمثل في هذا الجزء من الرواية "السيد جونسون" محو معالم شخصية البطل "عمر السيد"؟

1. رفض تغيير الاسم:

في رواية أرض الله للعتوم يمثل السيد جونسون النموذج الاستعماري الذي يحاول جاهدًا طمس معالم هويه عمر الإفريقي ومحو شخصيته وإذابتها ويظهر ذلك جليًّا في تعامله معه ومحاولاته المتكررة لمحو هويته الدينية والثقافية فكان أول ما فعل لطمس هذه الهوية هو تغيير الاسم فيسلبه بذلك أولى علامات الانتماء وهي الاسم.

فبعد أن قام السيد جونسون بشراء عمر وجره معه وهو مكبل في قيوده الى عربته سأله عن اسمه الذي لم يعجبه «هذا الاسم لا يناسبك سأختار لك اسمًا لاحقًا...»[2]

فالاسم بالنسبة لأي إنسان يعني كيانه وقيمته لذا حاول هذا السيد سلب هذا الاسم فهو ملكية خاصة، وكأنه يخبره أنك لم تعد حرا حتى تنادى بذلك الاسم فيها اختيار الاسم أصبح من حقي، وهنا يبدأ الصراع بين السيد جونسون وعمر فهو يحاول الإقلال من شأن عمر الذي يفخر باسمه واسم أبيه، كيف لا وهو اسم مشرف «نحن لا ننادي العبيد إلا باسم واحد ونحن أعطيناهم هذا الاسم».[3]

حاول السيد جونسون إلغاء ماضي عمر الإسلامي بتغيير اسمه والذي هو مرتبط ارتباطًا وثيقًا بالتاريخ الاسلامي والهوية الإسلامية والعربية وتغييره الى اسم غربي مثل "ماريان" كان خطوه منه لإبعاده عن تلك الجذور فهذا الاسم يعني التبعية لهذا السيد فهو

---

[1] ينظر: محمد حكيمي، **(صراع الهوية بين الأنا والآخر في رواية "منبوذ والعصافير" لإسماعيل يبرير)**، مقاربة سوسيوثقافية، مجلة إشكالات في اللغة والأدب، مجلد9،عدد2020،5، ص395–409.

[2] أيمن العتوم، **أرض الله**، ص281.

[3] المصدر نفسه، ص283.

وحده من له الحق في التعريف بعمر، فمن خلال تغيير الاسم يحاول طمس ذاته من خلال التسمية، فالاسم يحمل قيمة رمزية كبيرة وتغييره يعني إعادة تشكيل الذات بالقوة وهذا بالضبط ما أراده السيد جونسون نحو عمر وتحويله إلى عبد بلا ماضٍ ولا انتماء «لم أكن أدري أن التَّلفظ بإسمي سيكلفني كل هذا العذاب»،[1] هكذا كانت تصرف الآخر مع عمر عندما يتلفظ باسمه، فكان الاسم يدل على الانتماء وهو لم يكن يريده منتميًا أراده جسدًا بلا هوية وبلا تاريخ بل أراده مسخًا ولذا اختار له اسم "ماريان" هذا الاسم الذي يطلق على الذكر والأنثى معًا، فكأنه يقول له أنت لا تنتمي الى أي جهة، «سأسميه ماريان... ماريان... نعم ماريان... ما رأيك؟».[2]

‹فاسم الشخص يحمل الكثير من الدلالات سواء كان اسما علمًا أو بلدًا أو أي اسم»[3]، و"عمر" يحمل اسم له قدسية وقيمة عند المسلمين وكذا المسيحيين والصليبيين، فهو اسم ثاني خليفة للمسلمين وقد خلده التاريخ فكان يهابه الكل، وهو الاسم الذي يحمل دلالات وسمات تميز صاحبه عن غيره، فكل من يحمل هذا الاسم يسعى الى تحقيق أهدافه وطموحاته، ويبذل الجهد، ويتخطى العقبات لذلك، صبورٌ، محب للتغيير شجاع ومقدام›.[4]وقد رأى السيد "جونسون" ذلك الإقدام والشجاعة في عيني "عمر" فأراد أن يكسره ويحقره فاختار له هذا الاسم الذي يجمع بين الذكر والأنثى، غير أن عمر كان رافضًا لهذا الاسم فهو يتصنع عدم السماع إذا نودي به بل إنه يصر على أن اسمه عمر «ما اسمك وهتفت عمر».[5]

---

[1] أيمن العتوم، **أرض الله** ، ص286.

[2] المصدر نفسه، ص286.

[3] ينظر: بلقاسم زوقار، **(تجليات العبودية والعنصرية في رواية جذور لألكس هيلي)**، محاورات في الأدب والنقد، المجلد 2، العدد 3 جوان 2022، ص

[4] أماني أبو مسلم، معنى اسم عمر 17 أوت 2023: 9:57، https://mawdoo3.com/

[5] أيمن العتوم، **أرض الله**، ص293.

فتغير الاسم يتخطى كونه مجرد تغيير للأسماء والألقاب، وإنما يمثل في حقيقة الأمر صراعًا ثقافيًا وسياسيًا، هو قلق وجودي من خلال ارتباطه بشكل مباشر بمسألة الانتماء التاريخي والوطني والثقافي.

2. السيد المتسلط:

يتجلَّى صراع الأنا مع الآخر في رواية "أرض الله" كركيزة مركزية حيث يتجسَّد هذا الصراع في العلاقة المتوترة بين الأنا "عمر بن السيد" والآخر "السيد جونسون" فهذا الأخير يمثل بصورة صارخة السيد المتسلط الذي لم يكتف بامتلاك جسد عمر فقط بل هو يسعى الى امتلاك روحي وهويته فهو يرى أن هذا العبد كائن ناقص يجب تهذيبه، وتمدينه وفق منظوره الحضاري «أريدك أن تعلمه الأدب في حضرة سيده».[1]

هذا التَّعالي الذي اكتسبه السيد "جونسون" هو نفسه ذلك التَّعالي الذي جاء به تجار الدَّقيق الأوائل، والذين يدعون أن هؤلاء الزنوج ملاعين ومتمردين «يجب ترويضهم وتمدينهم حتى يكونوا خاضعين لهم ويجب عليهم أن يكونوا ممتنين لهؤلاء الأسياد لأنهم حرروهم من جهلهم وبدائيتهم».[2]

لقد أراد السيد المتسلط طمسه معالم شخصية عمر من خلال طمس كل مقوماتها فها هو يحاول أن يغير دينه من خلال استقباله للقساوسة الذين يقومون بحملات تبشيرية في أوساط العبيد حتى يجعلوا منهم تابعين لهم في محاولة منهم الى ترسيخ هذا الدين الجديد بعد طمس معالم الدين الأصلي «دأب السيد جونسون في كل عيد ميلاد أن يأتينا براهب من أقرب كنيسة من أجل أن بعضنا».[3]

---

[1] المصدر نفسه، ص286.

[2] ينظر: عايدة العزب موسى، **العبودية في إفريقيا والتاريخ المفقود**، (د، ط)، (د، ت)، ص19–20.

[3] أيمن العتوم، **أرض الله**، ص323.

وعلى الرغم من كل هذه المحاولات إلَّا أن عمر كانت عقيدته ثابتة راسخة «ظللت طوال شهوري الأولى أصلي هنا بالسر».[1]

ولما كانت اللغة من أبرز مقومات الهوية وجب على السيد الأبيض أن يمحو هذا المفهوم ويطمسه من أجل اقتلاع هؤلاء العبيد من كل ما يمت لعروقهم وجذورهم بصلة «ومتى تم الترويض فمن أجل استبقاء أثره، يتعين أن نمحو اللغة الأصلية لدى الزنجي الجديد وأن ننشئ لغة جديدة تسهل حياته العملية»[2] وهذا ما فعله السيد جونسون مع عمر وغيره من العبيد فمن تغييره الاسم الى محاولة تغيير الدين الى طمس اللغة والتخاطب بلغة أخرى جديدة عليهم ‹لا يسمح لنا بالتعلم›[3] ولكن عمر ليس كغيره من العبيد فهو يتنفس اللغة العربية والانجليزية وكذا اللغة المحلية التي كان يتواصل بها مع بني قومه في "فوتاتور "‹أنا أتكلم العربية الى جانب لغتنا المحلية وكذلك لغة السيد الابيض»[4] وهذه الأخيرة التي فرضها عليهم السيد للتواصل فيما بينهم فأجبروا على تعلمها للتحاور والتواصل.

3 . الترويض:

«تعتبر قضية العبودية من أبرز القضايا التاريخية المعقدة والشائكة، فهي تتصل بشكل مباشر بقضايا الصراع الاجتماعي، لذا فهي لا تجد حلولا لها إلا ضمن ذلك الصِّراع القائم دائما بين الأنا والآخر»،[5] ولأن هذا الصراع يجب أن يكون له أساليب وطرق يتبعها الآخر والمتمثل في الرجل الأبيض لإخضاع الأنا "العبد" يتخذ السيد الذي هو في مركز القوة

---

[1] المصدر نفسه، ص307.

[2] عايدة العزب موسى، **العبودية في إفريقيا والتاريخ المفقود**، ص21.

[3] أيمن العتوم، **أرض الله**، ص308.

[4] المصدر نفسه، ص321.

[5] بلقاسم زوقار، **(تجليات العبودية والعنصرية في رواية جذور لألكس هيلي)**، ص4.

سلطته لإخضاع العبيد وترويضهم، ولقد اتخذ السيد جونسون وسيلة الجلد بالسوط والتعذيب كوسيلة لترويض عمر فبعد شرائه مباشرة، وأثناء عودته بعمر الى مزارعه كان يقوم بجلد عمر كلما صدرت منه التفاتة أو كلمة ليست على هوى سيده: « وسألت السيد جونسون لماذا ينفخ هذا الرجل الأبيض في البوق وهذه المرة هوى بالفعل بسوطه علي بعد ان التف بجذعه أوه ... أيها الزنجي الأحمق».[1] فلم يكن الترويض الذي يمارسه على عمر ترويضا جسديًا فقط لأجل إخضاعه، بل كان نفسيًا أيضا، حيث انه كان دائم التقليل من العبيد، فهو يصفهم بأبشع الصفات فهم حمقى وخنازير.

كان الضرب والتعذيب للعبيد بسبب أو بغيره، فحتى إن قال أو تلفظ العبد باسمه الحقيقي يُعاقَب ويُجلَد «أريدك أن تعلمه الأدب في حضرة سيده وناوله السوط وراح العم "جون" ينهال علي بالسوط وأنا أصرخ ولم أكن أدري أن التلفظ بإسمي سيكلفني هذا العذاب.»[2]

السيد "جونسون" هنا يتبع سياسة إخضاع وترويض العبيد وذلك بجلدهم دون سبب حتى يتم غرس فيهم الخوف من العقاب، ومحاولة تجنبه وبهذا يتم إخضاعهم وتبعيتهم له، وذلك ما صرح به "لينش" في سياسة ترويض العبيد في إفريقيا، ‹كانت روما القديمة تستخدم الخشب كالصلبان لوضع الأجسام البشرية على طول الطرق الرئيسية›،[3] وهذا ما فعله هذا "الجونسون" فقد قام بربط عمر على جذع الشجرة وانهال عليه بالضرب، لا لشيء إلا أنه لم يحصد عدد السلال اللازمة من القطن في أول يوم له في المزارع، وهولا يجيد هذا العمل الذي تعلمه للتَّو. «كنت أود أن أسأله بما أنه هو الذي قيدني إلى جذع الشجرة عن الجرم الذي ارتكبته... أنت لم تصل الى عدد السلال التي يجب أن تصل إليه»،[4] عمر الذي

---

[1] أيمن العتوم، **أرض الله**، ص284.

[2] أيمن العتوم، **أرض الله**، ص286.

[3] عايدة العزب موسى، **العبودية في إفريقيا والتاريخ المفقود**، ص16–17.

[4] أيمن العتوم، **أرض الله**، ص298.

تعرض للضرب والإهانة لهذا الأمر البسيط راح يتساءل هل هذا الأمر يحتاج كل هذا العقاب والجلد، فلا بد أن هناك سبب آخر لذلك، لتأتيه الإجابة من أحد العبيد «نعم إنه الترويض سألت مستغربا: الترويض؟ نعم كل عبد جديد يشتريه يقوم بضربه بهذه الطريقة لكي يتم ترويضه وينخرط في سلك العبيد».[1]

إن السيد لا يتوانى عن إذلال العبيد لأبسط الأخطاء وأتفهها، فهو يسب ويشتم وذلك من بين تلك السبل التي يستعملها السادة في إخضاع عبيدهم، فالقهر النفسي يجعل منهم خاضعين لهم مهابة أن يتعرضوا للتجريح أو الضرب أو الجلد« ولا يكتفي المستعمر بالإجبار، بل يصاحب معه القهر والضرب»،[2] وهذا ما كان يفعله السيد "جونسون" مع عبيده فهو دائم السب والشتم لهم،« ويجب أن تتوفر فيه صفات القسوة والجدية واستخدام السوط»،[3] هذه هي الصفات التي يشترطها السادة من أصحاب المزارع في مراقبة الأعمال حتى يحصلوا على أكبر قدر ممكن من الربح، والخنوع من طرف عبيدهم.

4. الهروب في صراع الهامش مع المركز:

يعد الهروب تمظهرًا قويًا لسعي عمر بن السيد الى إثبات هويته الأصلية والتشبث بها، لا فقط كفعل النجاة الجسدية بل كموقف وجودي ضد محو الذات وضياع المعنى في ظل العبودية، فالهروب هنا كان وسيلة منه لرفضه القاطع لفقدان حريته وكرامته ومحافظة منه على جوهره كإنسان حر مسلم ومثقف، الهروب هنا لا يأتي من باب الخوف بل من باب الدفاع عن الهوية التي حاول الآخرون طمسها ورغبة منه في استعادة ذاته التي سلبت منه منذ اختطافهم وبيعه كعبد، ففعل الهروب كان وسيلة للصراخ في وجه النظام الاستعبادي، ولتأكيد أن جذور هويته أعمق من أن تقتلع مهما طال الأسر.

---

[1] المصدر نفسه، ص298.

[2] بلقاسم زوقار، **(تجليات العبودية والعنصرية في رواية جذور لألكس هيلي)** ص8.

[3] أيمن العتوم، **أرض الله**، ص292.

«ليس هناك عبد في هذه البلاد الملعونة لم يفكر بالهرب»،[1] فقد كان عمر يشجع غيره من العبيد على الهرب، مثلما فعل مع السيد جون الذي كان خائفا على بنتيه من بطش السيد جونسون، ولكن رغم ذلك لم يقْو على الهرب، «الجبناء هم وحدهم لا يقدمون على الهرب على المرء أن يتحلى بالشجاعة حتى يفعلها»، [2]فالهروب وسيلة استعملها الزنوج والعبيد دوما لأجل الرفض والانتفاضة، وهذا الأمر لن يروق السيد الأبيض الذي يسعى الى امتلاك هذا العبد وإخضاعه والاستفادة منه، «ولكنكم أيضا تعانون من الانتفاضات من هدوء ومن هروب العبيد بعيدا، ومن أن محاصيلكم تبقى في الحقول بغير جني أكثر مِمَّا يستوجب للحصول على الربح الكبير».[3]

حاول عمر الهروب مرتين ولكن الأمر لم يتم، وتم العثور عليه ليعذب وينكل به، ولعل محاولة عمر من السيد "جونسون تشرح" بوضوح صراع الهامش مع المركز، فالهروب هنا يتجلى بوصفه صراعا وجوديا وثقافيا يعكس البنية العميقة للهيمنة الاستعمارية والتمييز العنصري في أمريكا.

عمر الذي كان سيدا في قومه لم يتقبل العبودية وكان رافضا لها، «أنا عمر بن السيد بن عمر الفوتي من نسل الأشراف والوجهاء وسليل علماء الفوتاتور ... صرت عبدًا ... عبدًا هكذا ببساطة».[4]

لم يكن عمر ليرضخ لهذا الذل، وهذا الواقع الذي فرض عليه وكمحاولة منه لرفضه والتمرد عليه، صار يفكر جديا في الهرب، الهرب من الأسر، لقد أصبح يخاف أن يعتاد الظلم والخضوع لهذا السيد، «صرت أفكر بالهرب بشكل جدي لم أعد أطيق هذا كله، أشد ما

---

(1) أيمن العتوم، **أرض الله**، ص301.

(2) المصدر نفسه، ص301–302.

(3) عايدة العزب موسى، **العبودية في إفريقيا والتاريخ المفقود**، ص17.

(4) أيمن العتوم، **أرض الله**، ص289.

أخاف منه أن أستمرئ الذل، أن اعتاد السوط بل وأنتظره، أن يكون مغموسا باللقمة التي آكلها»،[1] هكذا فكر عمر فمن يرضى بالذل يعتاد عليه ويستسلم له.

إن صراع الهامش مع المركز يعكس المواجهة العميقة مواجهه الإنسان مع تاريخه القسري، ومحاولة الانعتاق منه عبر فعل بسيط، لكنه عظيم (الهروب)، فالحرية في هذا السياق لا تعني مجرد النجاة من العبودية بل تعني استرداد الذات وتحقيق معنى الوجود خارج تعريف المركز، وها هو يلفت نظر العبيد الى أن خضوعهم وخنوعهم للسيد الأبيض هو الذي جعله يتمادى في ذلك، وقتل فيهم صوت الحرية «لقد قتلوكم بالخوف يا أخي، قتلوكم بالسوط، أخمدوا هذا الصوت الحقيقي الذي خلقكم الله عليه، أخمدوا صوت الحرية، نحن نولد أحرارًا يا أخي، هذا السيد الذي يزعم أنه متفوق ليس متفوقًا في شيء سوى في القتل والدم والضرب والشنق والموت... »،[2] هذه الآراء التي امتلكها عمر نابعة من تكوينه الديني وهويته الجلدة التي لم تمحى حتى بعد أن وقع في الأسر، فهو ذلك المسلم الذي كان يصلي ولم يفوت صلاة دون أن يشعر به أحد، فكأنه يقوم بأداء حركات بسيطة أثناء جمعه للقطن وحتى الوضوء لشحة الماء، فقد أقام شريعة التيمم لكل صلاة، وما أكثر الحجارة أين يعمل، وما أكثر التراب فالصعيد الطيب في كل مكان، كيف لا وهو يقف على "ارض الله".

لم يكتف عمر بتحفيز همم العبيد، وتعليمهم تعاليم الدين بل أنه كان يناظر القساوسة والرهبان الذين يستقدمهم السيد جونسون في أعياد الميلاد، من أجل أن يعظ العبيد، وهو الوعظ الذي كان لأجل تثبيت فكرة الاستعباد والاستسلام له « لوكان وعظا لتعاليم المسيح

[1] المصدر نفسه، ص315.

[2] المصدر نفسه، ص318.

لكان الأمر فيه خير، ولكنه كان وعظا من أجل تثبيت فكرة أننا نحن الذين جئنا من إفريقيا عبارة عن رعاع، همج، لا يعرفون شيئا»،[1] فكان هذا القس يشرح للزنوج فكرة العبودية وأنهم منبوذون ملعونون لأنهم من سلالة "حام بن نوح"، فقد أفحم عمر القسيس بالقول وهو يستدرجه في الحديث لنفي كل الوعظ الذي كان يقدمه ويشرحه للعبيد، الأمر الذي أغضب السيد جونسون وأثار غيظه وسخطه على عمر وهاج عليه، مما جعله يسلط عليه عبدين ليعذبانه، بعد أن ربطا سائر جسده حتى لا يستطيع الحركة وإنهالا عليه بالسياط، ولشدة التعذيب الذي كان يتعرض له عمر، وما كان يراه من ظلم وتجبُّر، خاصة بعد وفاة أحد العبيد بعد التعذيب صار عمر يفكر بجدية في الهرب «صار التفكير بالهرب ملحا بالنسبة لي بعد أن مات أحد هذين العبدين الذين قضما قضمة من قصب السيد جونسون».[2]

وتتواصل حلقات التعذيب المسلَّط على العبيد ويتواصل معها تفكير عمر في الهرب «لماذا لم أهرب حتى الآن؟! ».[3]

وكمكافأة له على تعليمه تعاليم الدين وأصوله وتفانيه في حب عائلته والذود عنها ساعد "العم جون" عمر للهرب من قبضه "السيد جونسون".

هذا الأخير الذي أمعن في الفجور والفسق فتحول قلب عمر من ناحيته الى كحلة من السواد، خاصة بعد سماع عمر لقصص فجوره وعربدته، هرب عمر الى جهة مجهولة لا يعرفها، «ليس لي مكان أهرب إليه سأهرب فحسب»،[4] لكن هذه المرة عثرت عليه الكلاب، وهذه المرة لم يقم السيد بتعذيب عمر بل أنه قام بتعذيب أحبائه كعقاب له.

---

[1] أيمن العتوم، **أرض الله** ، ص323.

[2] المصدر نفسه، ص335.

[3] المصدر نفسه، ص338.

[4] المصدر نفسه، ص 347.

ظل هذا الصراع بين "الهامش" عمر و"المركز" السيد جونسون مستمرًّا فالأول رافض للعبودية ناقم على هذا السيد المتجبر، والثاني يدَّعي الأحقية به ويوجب عليه طاعته والإذعان له، وهكذا حاول عمر مرة ثانية وثالثة للهرب الى أن نجح في ذلك، بعد أن مات السيد جون لأنه ساعد عمر ليستمر عمر في هروبه لمدة شهر كامل، وهو «شهر الحرية والجمال»،[1] كما راق للعتوم تسميته ليستمر العتوم في شرح خطة عمر في الهروب وكيف عاش هذا الشهر في كنف الحرية الجسدية والفكرية معًا في فصل ‹الصندوق الساخن».[2] هذا الصندوق الذي جعله السيد جونسون لعقاب عمر، يستسلم عمر بعد ليبرز انتصار المركز على الهامش لوهلة، لكن هذا الهامش انهزم جسديًا لا فكريًا، لأنه قد أخذ على عاتقه تحرير العقول، وترسيخ الدين فكان داعية في أوساط هؤلاء الزنوج، فكان يدعوهم الى التحرر باستعمال التعلم وصل عمر دعوته في أوساط العبيد الى أن تجاوز السن من العمر ليختار ربيع 1830 للهرب لثالث مرة وينجح في ذلك، لتبدأ مرحلة أخرى من مراحل عبودية عمر، فكيف ستكون هذه المراحل.

[1] ينظر: المصدر نفسه، ص371–378.

[2] ينظر: المصدر نفسه، ص379–386.

المطلب الثاني: الأمان العاطفي من خلال العلاقات الإنسانية

«يعد الأمان العاطفي إحدى خصائص الشخصية الإنسانية المتوازنة، القادرة على التفاعل مع مواقف الحياة المختلفة بمستوى عال من الاستقرار النفسي، ذلك الاستقرار، الذي يمكن الفرد من التعامل مع المشاعر السلبية بعيدا عن الاضطرابات الشعورية. ويسمح له في الوقت ذاته بتحمل الأزمات الناتجة عن أي ظروف يتم التعرض إليها في مسيرة الحياة»(1) بترميم الذات وإعادة الثقة بالنفس من خلال بناء علاقات إنسانية مهما كان نوعها سواء عاطفية أو عائلية، أو حتى علاقات الصداقة مما يعزز الثقة بالنفس، ويمنح الذات دعما عاطفيا ويشعرها بأنها محبوبة وتكتسب احترام المحيطين بها، ويبعث بها إلى الاستقرار النفسي والشعور بالرضا.

وهذا ما كان بطل رواية "أرض الله" "عمر بن سيد" بحاجته بعد تعرضه لصدمة الأسر والتشتت، بترحيله من "جزيرة غوريه" بالساحل الإفريقي نحو "تشار لستون" بـ"الولايات المتحدة الأمريكية "ليكون عبدا منبوذا بعد إن كان سيدا وقورا في قومه.

سبق وأن طرحنا كيفية ترميم الهوية المتشظية بالذكريات، وكيف أنها لملمت ما تبقى منها، كما أن ثبات العقيدة وصلابتها حال دون فقدان الهوية العقائدية مما ساهم في استرجاع هوية عمر شيئا فشيئا، والآن ندرس كيف استطاعت شخصية عمر تعزيز هويتها، وخلق استقرار نفس في ظل الأوضاع التي يعيشها من خلال البحث عن تكوين علاقات إنسانية والاحتكاك ببعض المقربين، وإن كانت علاقات محدودة إلا أنها كانت عميقة، لتوفر له شيء من

(1) راكان عبد العزيز الراوي، **(الأمان العاطفي: طوق النجاة في العلاقة مع الذات والآخرين)**، مجلة البيان، دبي، الإمارات العربية المتحدة، 2024، ص 43.

الأمان العاطفي، وترمم ذاته، كما أنها تداوي جروح الصدمة، من خلال تبادل الحب والاهتمام.

1. العلاقة مع الذات:

إن تعزيز الثقة بالنفس بعد التعرض لصدمة عنيفة يبدأ من العلاقة بالذات، وإعادة بعث الثقة فيها من جديد بعد أن كانت مهزوزة، وهذا ما عمد العتوم على تسريده في قصة" عمر بن سيد" من خلال التحدي والتفكير بالهرب وعدم الخضوع لرغبة سيده الذي عمله معاملة قاسية «صرت أفكر بالهروب بشكل جدي. لم أعد أيق هذا كله.»(1) هذا التحدي والشجاعة التي أبداها "عمر بن سيد" رغم ما يكابده هو وإخوانه من العبيد تدل على شجاعة وقوة داخلية وهوية صلبة ترفض الاستعباد «الاستمرار في الاستماع إلى الخرافات سوف يرسخ عقيدة العبودية في قلوبنا، نحن أحرار يا أخي...»(2).

عقيدة عمر المتينة عززت ثقته بنفسه وجعلت منه عبدا أقوى مما يفترض من خلال المواجهة والمطالبة بالحقوق وعدم الخضوع لسيده " جونسون" «هل الله الذي يعبده البيض يختلف عن الله الذي يعبده السود»(3) طرح عمر الأسئلة على القس " روبرت" الذي أتى ينصرهم ويعلمهم دين المسيح ومواجهته والمطالبة بحقوق العبيد، والتي بدأها بمكان للعبادة يتعبد فيه العبيد ويصلون فيه على غرار البيض، حيث لم يكن يتوقع من عبد طرح هكذا أسئلة أو الجرأة والتحدي إلا إن كان عبدا يتمتع بهوية دينية قوية كعمر.

(1) أيمن العتوم، **أرض الله**، ص315.

(2) المصدر نفسه، ص 116.

(3) المصدر نفسه ، ص327.

حتى أنه ناظر القس " روبرت" في نبي الله نوح وأبنائه ودحض فكرته في كونه نوح عليه السلام كان ثملا وأن ابنه حام جد الزنوج اطلع على عورة أبيه، في حين ستر يافث وسام عورة والدهما ليكون حام وذريته عبيدا لإخوانهم من ذرية يافث وسام؛ «فالإنسان الذي يتمتع بقدر من الثقة تجده لا يعاني من الخوف، تجد نظرة عينيه بها ثقة وتشعر من خلال عينيه أنه يقول لك: انا واثق من نفسي لن تستطيع إطلاقا أن تؤثر علي»(1).

وكذلك رفض عمر لهذه الكذبة التي ألقاها القس على العبيد؛ ليرسخ فيهم فكرة العبودية ويثبط من عزيمتهم ورغبتهم في التحرر ويخدم أسيادهم الذين دفعوا له الكثير مقابل أفكاره هذه.

2 . العلاقة مع المستعبدين:

مشاركة عمر للمستعبدين الظروف القاسية والمصير نفسه جعله مقرب منهم ويقاسمهم آلامهم ويداوي نفسه ويصبرها بما سمع منهم من قصص أنسته قصته وألمه بفراق أهله وواسته في مصيبته، مثلا قصة "دانيال" التي كانت أفظع من قصته «أمي أغتصبت أمام أبي في بيت العبيد، ثم قتلوها وألقوا بجثتها في البحر، وأبي حمل معنا في ذات السفينة، لكنه كان مشتركا في شغب حدث فوقها، فقطع رأسه...»(2)، وكذلك علاقته بالعمة " تيري" زوجة " دانيال" وبابنتيهما ومعاملة "تيري " الطيبة له واهتمامها به ومداواة جروحه، وبتقربه من العبيد وتعليمه لهم دينهم وحادثتهم بلغتهم الجميلة وتذكيرهم بأن أمهم إفريقيا السوداء، وحثهم على الافتخار بعرقهم وجنسهم وترسيخ مقومات الهوية التي كادت أن تندثر في نفوسهم ولملمة بقايا ذواتهم المتشظية بفعل الأسر والتنكيل والتعذيب وقسوة رحلة الاستعباد من طرف الأوربيين الغزاة «وتلوت عليهم سورة الملك، وذكرتهم بأن الله هو مالك كل

(1) إبراهيم الفقي، **الثقة بالنفس**، توزيع الراية، (د، ط)، جمهورية مصر العربية، 2010، ص15.

(2) أيمن العتوم، **أرض الله**، ص300.

شيء..... وأحفظ من أشعار العرب الكثير وكان هناك شاعر يشبهنا اسمه عنترة.... قال: أنا ابن سوداء الجبين كأنها ضبع ترعرع في رسوم المنزل ...»(1) وراح عمر ينشد أبياتا لعنترة يصف أمه السوداء مفتخرا بانتمائه لها ومعززا جانبا قويا من مقوماته اللون والدين والعرق والأوطان.

3 . الحنين للعلاقات القديمة (أرضه، أهله، مجتمعه):

اعتماد الحنين للأرض والأهل والمجتمع كنوع من أنواع التداوي من الصدمات وترميم الذات والمحافظة عليه لتعزيز القوة الداخلية، وبعث الأمل لمجابهة ما هو آت وكذلك تثبيت الهوية المطموسة، ونجد هذا في استرجاع عمر لذكرياته مع أسرته وافتخاره بالانتماء الإفريقي وللجنس الزنجي، يقول عمر مستحضرا ذكرى «كانت إفريقيا بكامل روائحها وبهاراتها وطعومها تحضر في تلك المائدة»(2) تسريد الهوية هنا تمثل في تعزيز الهوية بالانتماء من خلال ذكر الطعام العادات والتقاليد، وكذلك التشبث بالذكرى.

كما أنه استحضر الحنين للعقيدة الاسلامية للآذان والإقامة لإخوانه بـ "توبا" فكان عمر يذكرها بين الحين والآخر ويحضره ذكراها فيحن إلى أيامها ويستمد منها طاقة يواسي بها نفسه ويعزز بها قوته الداخلية ليستمر «تراثنا هو ديننا ... الدين الذي جاء به أجدادنا إلى بلادنا، الإسلام»(3).

---

(1) المصدر نفسه، ص321.

(2) المصدر نفسه ، ص319.

أيمن العتوم، **أرض الله** ، ص306.

حنين عمر إلى دينه وممارسة طقوسه سرا وخفية عن السيد" جونسون" الذي كان سيقطع رأسه لو علم بشيء من هذا، وكذا التزامه بأخلاقه الإسلامية وتعليم الإسلام من عطف عن المساكين وتلاوة القرآن الكريم وتذكير العبيد بدينهم وبالأحاديث المأثورة عن النبي ﷺ وعن صحابته رضوان الله عليهم على غرار مقولة " عمر بن الخطاب " رضي الله عنه «متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا»(1).

كل هذه العلاقات من تعزيز قدرات الذات والاحتكاك بالمحيطين واستحضار الذكرى والتشبث بالهوية والانتماء بعث في ذات "عمر بن سيد" الأمان والاستقرار النفسي.

(1) المصدر نفسه ، ص316.

المبحث الثالث: مرحلة التحرر الفكري والاستسلام الجسدي

يشكل ذلك التواجد ضمن دائرة العبودية تناقضا جذريا، بين قهر الجسد وحرية الفكر، وهذا ما يتجلى في رواية أرض الله للعتوم، حيث يتجلى هذا التوتر بشكل خاص في مرحله أسر عمر لدى السيد جيم إذ أن العتوم أبرز في هذه المرحلة على الرغم من أن عمر لا يزال تحت قمع الجسد واستباحة حريته الخارجية، تظل روحه وعقله يرفضان هذا الاستعباد ويقاومانه بمقاومه صامتة. فكيف صور العتوم ثبات هوية عمر واستقرارها؟ وما هي العناصر التي جعلت من شخصية عمر مستقرة؟ وكيف استسلم عمر جسديا لهذا الأسر، ورضي بالواقع الذي فرض عليه، هذه التساؤلات سنحاول الإجابة عليها ضمن هذا المبحث.

المطلب الأول: ثبات الهوية واستقرارها

إن تعرض الإنسان للسجن أو الأسر يمثل أحد أقسى أنواع المواجهات مع الذات والهوية، فالأسر لا يهدد فقط الحرية الجسدية بل يتعداها، ويضع الهوية في اختبار قاس، إما أن تضعف الذات وتذوب في محيطها الجسدي القسري، وإما أن تتماسك وتعيد إنتاج هويتها بإصرار مضاعف، ووفق ما ذهب اليه فرانز فانون ‹فالعبودية تتجلى أساسا في استعباد الجسد، لكن العقل يستطيع في حالات كثيرة أن يحتفظ بكرامته واستقلاله مما يجعل الإنسان مستعبد الجسد لا مستعبد الفكر».[1]

كما تذهب الدراسات النفسية الى أن الإنسان في لحظات السلب الكاملة لإنسانيته كما في الأسر، يتمسك بما هو جوهري فيه: اسمه، لغته، ذاكرته ومعتقداته، وفي السياق السوسيولوجي يعتبر الاسم واللغة والرموز الثقافية أدوات للصمود في وجه محاولات التفكك

[1] ينظر: فيدكوت فرانز فانون، ترجمة عدنان كيالي، **بشرة سوداء وأقنعة بيضاء**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، (ط،1)، بيروت، 1971، ص5.

والهدم الاجتماعي، ‹فأصبح ذروة الطموح الأصلي أن يكتسب الفرد أكبر قدر من ... سواء كان ذلك من حيث اللغة أو التعليم أو الثقافة أو حتى الدين».[1]

ضمن هذا الإطار قدم العتوم شخصية عمر نموذجا للشخصية الصلبة المستعصية عن الذوبان والضياع في محنة الأسر وعبر عن ثبات هويته عبر عدة مستويات متكاملة.

1.استرجاع الاسم كتقدير للذات

يعتبر الاسم أحد أبرز رموز الهوية في مرحلة الأسر، وهذا ما فعل بعمر حيث جرده المالك الأول السيد "جونسون" من اسمه ولكن عمر كان رافضا لذلك الاسم الذي أطلق عليه "ماريان" ليسترجع اسمه كمقوم من مقومات الشخصية عند السيد جيم «أنا عمر ... عمر بن سيد أنا من فوتاتور في بلاد ما بين النهرين في غرب إفريقيا أنا مسلم ومتعلم»،[2] عمر هنا يصر أشد الإصرار على اسمه وهويته، هو لم يذب في ذلك المجتمع الذي عاش فيه ما يقارب الأربعين سنة، يؤكد العتوم هنا أن استعباد الجسد لا يعني بالضرورة استعباد الروح والفكر، فهو في هذا المقام يؤكد ما ذهب إليه صاحب كتاب «بشرة سوداء أقنعة بيضاء».[3]

يواصل العتوم تأكيد استرجاع مقوم الشخصية والهوية لدى عمر والمتمثل في الاسم، فها هو عمر يرفض الاسم ويقر أنه لم ولن يعترف به، «عمر هو إسمي الحقيقي سيدي هو

---

[1] ينظر: المصدر نفسه، ص 6.

[2] أيمن العتوم: **أرض الله**، ص413-414.

[3] فرانز فانون، **بشرة سوداء، أقنعة بيضاء**، ص18.

الذي يناديني بماريان ولكنني لست ماريان ولن أكون ولولا إجراءات المحكمة لما اعترفت بالاسم»،[1] وتحت إصرار عمر على استرجاع اسمه رضخ السيد الأبيض لذلك، «أنتم بأفعالكم تكرسونها يا ماريان ... أن عمر يا عمر إن إلغاء العبودية لها أكثر من قرنين لا يتم بمناقشة بين اثنين».[2] فالاسم عند العتوم يعادل الجوهر الإنساني، ويختزل ذاكرة الانسان بمعتقده وما فيه وأصله، فعندما أسر عمر وسلبت منه حريته من اسم وجسد ودين وأصبح يلقب باسم اختاره سيده، لم يسلب منه الاسم فقط، بل سلبت منه هويته وفرضت عليه هوية جديدة تتوافق مع النظرة الاستعبادية للسيد، فمحو الاسم هنا يقابل محو الذات وتسيء الإنسان.

وعندما انتقلت ملكية عمر الى السيد جيم أول ما كان يريد استرجاعه هو اسمه لذا عندما ناداه "ماريان" صحح الأمر، وقال «أنا عمر اسمي عمر بن السيد»[3] تأكيد على هويته المسلوبة والمضطهدة، فالعتوم هنا يؤكد أن عمر ليس اسمي فقط بل هو يضيف بن السيد كدلالة على شرعية نسبه لوالده السيد الحر لمسلم العالم، وهو نفي لهوية العبد التي فرضت عليه في الأسر.

كما لا يمكن أن نغفل البعد الروحي في دلالة الاسم، فقد كان عمر طوال الرواية يعيش نوعا من الاغتراب الوجودي لكن حين ينطق اسمه ويسترجعه فهو يعيد ترتيب علاقته مع الله، ‹فالاسم في المفهوم الصوفي والإسلامي يتصل بالاسم الأعظم الذي هو الله ويعني المعرفة الحقيقية للذات، وعليه فإن استرجاع الاسم هو استرجاع العلاقة بالخالق». [4]

والانخلاع من هويه العبد السوقي الى هوية العبد لله.

---

[1] أيمن العتوم: **أرض الله**، ص421.

[2] المصدر نفسه، ص437.

[3] المصدر نفسه، ص440.

[4] ينظر: عبد الحميد هيمة: مجلة الآداب واللغات، جامعة قاصدي مرباح–ورقلة الجزائر العدد7، ماي2008 ص229.

2.اللغة والذاكرة الثقافية

الذاكرة ليست فقط مجرد سرد لماضي بل هي آلية مقاومة وجودية عمر، حينما أقتلع من أرضه كانت ذاكرته هي الملاذ الوحيد الذي يمارس فيها طقوس حريته، فهو يستعيد فيها صورة عمر الحقيقي المختلف عن الصورة التي يحاول هذا السيد أن يطمسها.

وقد برع العتوم في سرد ذاكرة عمر هذه الذاكرة التي جسدت حرية عمر وانتصاره على الأسر «لو رأيتني أيام توبا لدهشت من أن الواحد كان يقضي نهاره وليله على ثلاث لقيمات»،[1] فعمر هنا يشرح للسيد جيم أنه غير معتاد على هذا الثراء، فهو الزاهد الذي تربى وترعرع في توبا تلك المدينة التي شكلت روحه وهذبتها، «فبهذه العبارة البسيطة فقط يأخذنا العتوم لاسترجاع أيام توبا عن طريقة تقنية "الفلاش باك" السردية، ليستحضر عمر ونستحضر معه نحن كذلك أيام الجوع في توبا وتهذيب النفس».[2]

ولعل ما ينعش هذه الذاكرة الثقافية هي تلك اللغة التي اكتسبها عمر التي شكلت ذلك التحدي الكبير بالنسبة لعمر بن السيد الذي انتزع منه لسانه العربي واجبر على التخاطب بلسان سيده "فاللغة تصنع الوعي الجماعي وفقدانها يعني التشتت والانفصال".[3] فعمر هنا باسترجاع لغته وذلك من خلال تعليمه للأطفال أبجديات اللغة العربية، وتحفيظهم القرآن استطاع أن يبني جسرا من التواصل مع هويته المسلوبة وأن يشعر بالانتماء مع هذا المجتمع الذي أوجد فيه قسرا، لذا فقد جعل عمر من لغته جسرا يتواصل به مع غيره، وهذا ما فعله

---

[1] أيمن العتوم، **أرض الله**، ص437.

[2] ينظر: علي هشام، **(ذاكرة المستعبد قراءة في السرد المضاد عن أيمن العتوم)**، مجلة دراسات ثقافية، العدد12، 2024، ص176.

[3] ينظر: بديكت أنرسون، **نظرية الجماعات المتخيلة** ترجمة ثائر ديب، قدس للنشر والتوزيع، (ط، 1)، 2009، ص50.

بداية هروبه من الأسر عن السيد جونسون وأثناء تواجده في السجن، حيث كان معلما للسجناء وكأنه يسترجع هويته في توبا، حيث كان معلما للتلاميذ الصغار هناك، جعل عمر من جدران السجن سورة يخط عليها حروفه بشكل أنيق باللغتين العربية والإنجليزية، وحفظ المساجين أنشودة الحروف في يومين «استمر نشيد الحروف وحدها يومين، كان قسم الحروف مقسوما هو الآخر بشكل هندسي الى قسمين وكل حرف من الحروف العربية والإنجليزية يأخذ مساحة متساوية»،[1] هذا التناسق الذي جعله عمر على جدران السجن والخطوط الجميلة التي زينته هي من جعلت من السيد جيم يصر على شرائه وضمه الى عبيده، ليواصل عمر بعد أن أصبح في كنف السيد جيم التواصل بلغته مع العبيد حيث اتخذ من ساحة البيت مكانا للتعليم، فكان يعلم أبناء العبيد اللغة وآيات الذكر المجيد.

وعندما توطدت علاقته بالسيد جيم وأصبح بإمكانه أن يحصل على أقلام وأوراق، اتخذ عمر من الكتابة باللغة العربية وسيلة لإثبات هويته، فقد حرص عمر على كتابة سيرته ومذكراته بالحرف العربي، على الرغم من أنه يتقن اللغة الإنجليزية فاللغة بالنسبة لعمر لم تكن أداة تواصل فقط، بل هي جذر من جذور الهوية المسلوبة. «كنت أكتب بالحروف العربية التي علمني إياها أبي، كنت أخشى أن تموت العربية في داخلي إن لم أكتب بها وكان القلم عندي وطنًا صغيرًا أعود إليه كل ليلة»،[2] ففي هذه العبارة الرمزية يبرز لنا العتوم أن الكتابة تحولت من فعل الى وطن بديل ‹وهذا يظهر الى أي حد كانت اللغة عنصرًا حاسمًا في تثبيت الهوية».[3]

---

[1] أيمن العتوم، **أرض الله**، ص417.

[2] المصدر نفسه، ص479.

[3] عايدة العزب موسى، **العبودية في إفريقيا والتاريخ المفقود**، ص29.

لقد حاول السيد جيم أن يدمج عمر ضمن الثقافة الأمريكية البروستاتينية البيضاء، لكن عمر على الرغم من أنه حفظ مقاطع من الإنجيل إلا أنه لم ينساق وراء تفكير وثقافة السيد، فهو يرى نفسه مختلفا عنهم، ولم يشكل تعرفه على الإنجيل تحولا في إيمانه بل كان نوعا من الامتثال الظاهري، «حفظت مقاطع من الإنجيل لكنني كنت أعيد ترتيبها في عقلي كما أفعل مع الآيات كنت أبحث فيها عن الله الذي لا أعرفه لا عن الإله الذي يحاول السيد جيم أن يقنعني به»،[1] هنا يشرح لنا العتوم أن عمر «دمج بين معرفته الجديدة وهويته الأصلية، دون أن يسمح للأولى بابتلاع الثانية»،[2] وكأن بالعتوم ينقل ذلك الواقع المخزي الذي يعيشه الشباب العربي الذي انسلخ من عاداته وتقاليده وقيمه، بمجرد أن اطلع على الثقافات الغربية كنوع من الرقي والانفتاح على الآخر.

المطلب الثاني: الأمان الفكري والاستقرار النفسي:

يرتبط مفهومي الأمان الفكري والاستقرار النفسي ارتباطا وثيقا، حيث لا يمكن أن يتحقق الثاني إلا بوجود الأول.

فالأمان الفكري هو« الاطمئنان إلى سلامة الفكر من الانحراف الذي يشكل تهديدا للأمن الوطني، أو مقوماته، الفكرية والعقدية والثقافية والأخلاقية والأمنية »(3)، كما يمكن تعزيزه ببعض الأمور نذكر منها «الاهتداء بهدي الله، والاعتصام بكتاب الله وسنة رسوله

---

(1) أيمن العتوم، **أرض الله**، ص 479.

(2) ينظر محمد سعاد، **الهوية والاغتراب في رواية أرض الله**، مجلة الرواية العربية، العدد34، 2023، ص95.

(3) عبد الحفيظ بن عبد الله المالكي، **نحو مجتمع آمن فكريا**، دوحة المعرفة، (ط،1)،2010، ص40.

ﷺ، وكذلك التنشئة الاجتماعية الصحيحة التي تسير ما ارتضاه الدين باعتباره أهم مقومات الهوية الفكرية والعقدية، فالتنشئة السليمة هي تلك التي لا تخالف المجتمع في عاداته وتقاليده وأعرافه والتي توافق الشرع » (1).

وبعودتنا لرواية " أرض الله ولقصة البطل " عمر بن سيد" وصراعه في مواجهة تحدي ترسيخ الهوية والحفاظ عليها من محاولة الطمس والنسخ، نجد أنه حقق أمانا فكريا في آخر حياته، وهذا بالمحافظة على قناعاته الدينية والفكرية. وتم تسريد هذا من خلال كتاباته باللغة العربية ونسخ القرآن الكريم التي كان يحتفظ بها والآيات القرآنية التي كان يتلوها ولم يهجرها طيلة مرحلة العبودية رغم ما عاناه من محاولات طمس وتنصير.

كما تجلت هويته الدينية في الاستقرار النفسي الذي بلغه في آخر حياته، وهذا نابع من إيمانه بالقضاء والقدر وبتسليمه لله لا باستسلامه لمستعبديه. فرغم مرارة الأسر والعبودية، عاش " عمر بن سيد" حالة من التصالح الداخلي والاستقرار النفسي والرضا بالقضاء، وكل هذا بفضل عقيدته القوية وتنشئته العقدية والاجتماعية الصلبة التي انتصرت رغم كل محاولات الطمس وثبات هويته بعد كل ما مرت به من صدمات وتشظي.

(1) عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس، **الشريعة الإسلامية ودورها في تعزيز الأمن الفكري**، ص 20.

خاتمة

ومع الانتهاء من دراستنا البحثية للموضوع المختار "تسريد الهوية في رواية أرض الله لأيمن العتوم" والتي عرض فيها الكاتب السيرة الذاتية للبطل السينغالي عمر بن سيد في سبعين سنة من العبودية والتي تحكي معاناة الإنسان في ظل العبودية والتفرقة العنصرية بين الأبيض والأسود، خلصت هذه الدراسة إلى جملة من النتائج التي تسهم في فهم أعمق لمعالجة العتوم لقضية الهوية والتي من شأنها أن تفتح آفاقا جديدة للبحث والتطوير في المستقبل، نذكر منها:

- تناولت رواية أرض الله مسار تشكل الهوية من خلال سرد ذاتي قائم على التجربة والمعاناة والتحول النفسي.

- اعتمد العتوم على تقنيات سردية مكثفة مثل الاسترجاع والوصف النفسي، والمونولوج الداخلي لتسليط الضوء على البعد الهوياتي في شخصية عمر.

- الهوية في الرواية ليست ثابتة، بل متحولة ومتعددة الأبعاد حيث تمثل الهوية سيرورة نفسية وروحية واجتماعية، فتبدأ من انتماء بسيط للقبيلة والدين لتخوض رحلة التفكك وإعادة التشكل في ظل التحولات الداخلية والخارجية.

- السرد وسيلة لفهم الذات وتوثيق معاناة الإنسان الإفريقي، حيث استعمل العتوم السرد بوصفه أداة تحليلية وفكرية لا لنقل الأحداث فقط؛ بل لتفكيك البنية النفسية للشخصية، ورصد الانهيارات التي تتعرض لها في مسار العبودية، مما جعل الرواية شهادة أدبية على وجع الهوية المسلوبة.

- المكان عنصر سردي فاعل في تشكيل الهوية والانتماء، فقد تنوعت الفضاءات الجغرافية بين "فوتاتور" و"توبا" و"غوريه" و"تشارلستون"، وأدى كل منها دورًا وجوديا وروحيا في وعي الشخصية بنفسها فالمكان ليس حيزًا فيزيائيا فحسب، بل هو تجربة شعورية تسهم في بناء الذات وسحقها.

- الأمان بمستوياته المختلفة يعدُّ عنصرًا حاسما في استقرار الهوية فقد أظهرت الدراسة أن فقدان الأمان النفسي، الديني، الاجتماعي، أو المادي يؤدي الى زعزعة الشعور بالهوية، فيما يشكل وجوده نقطة توازن تؤهل هذه الشخصية لمقاومة الانهيار وإعادة البناء.

- استخدم العتوم أساليب سردية تعكس التشظي النفسي والجسدي لعمر، من خلال تصوير الصدمة والألم والتجويع والتنكيل كأدوات لفقدان الهوية الإنسانية.

- تبرز الرواية بوصفها مشروعا إنسانيا شاملا لا يخص عمر السيد وحده، فسرد الهوية في الرواية هو سرد عن الإنسان عموما، وعن معاناة كل من سلبت منه أرضه، اسمه، لغته وحتى ذاكرته، وبهذا فالرواية تطرح خطابا إنسانيا يعانق الكوني عبر المحلي.

- أظهر السرد كيف تحول عمر من "السيد الحر" إلى "العبد المملوك " مما أدى إلى انهيار داخلي وشروخ في البناء النفسي والوجودي.

- رغم محاولات كسر الذات، ظل عمر متشبثا بعقيدته الإسلامية مما ساهم في حفظ نواة هويته ومنحه قوة داخلية للمقاومة وعدم الذوبان الكلي في واقع العبودية.

- التحرر في الرواية تحرر فكري وروحي لا مادي فقط فرغم استحالة الخلاص الجسدي من العبودية إلا أن الرواية تكرس مبدأ أن الحرية الحقيقية هي تلك التي تنبع من داخل النفس الإنسانية حين يتصالح الإنسان مع ذاته، ويستوعب تاريخه ويقف أمام ربه لا جلاده.

الملاحق

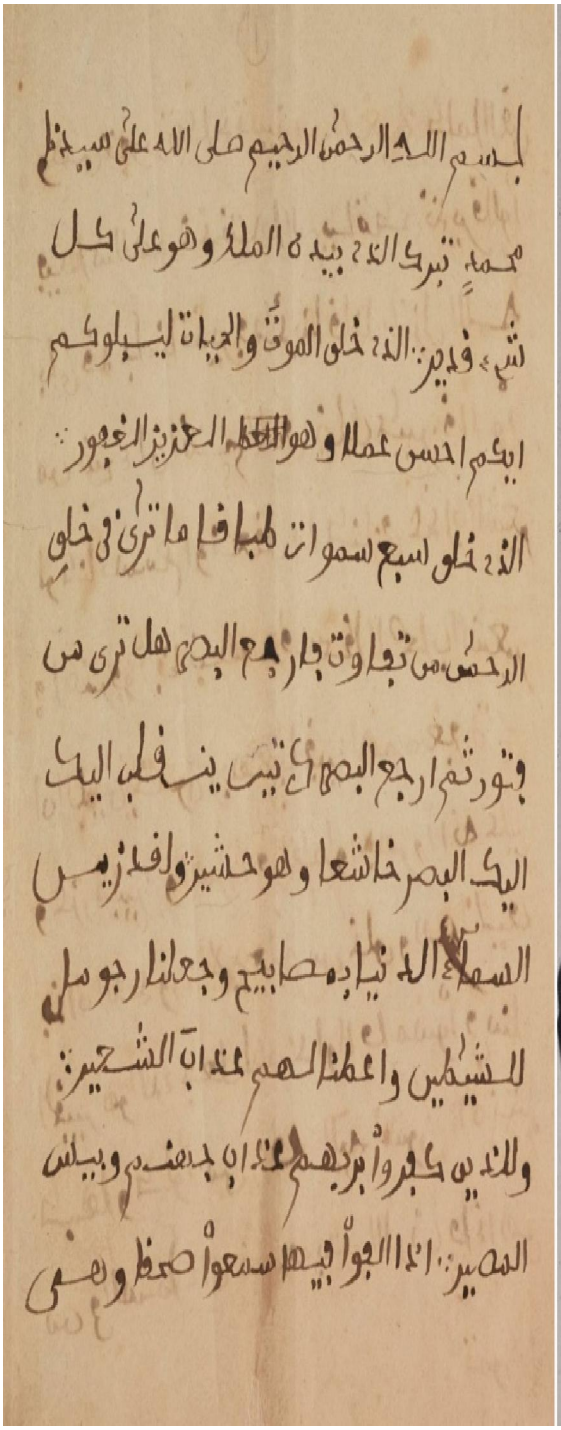

بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا
محمد تبارك الذي بيده الملك وهو على كل
شيء قدير: الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم
أيكم أحسن عملا وهو العلي العزيز الغفور:
الذي خلق سبع سموات طباقا ما ترى في خلق
الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من
فطور ثم ارجع البصر كرتين ينقلب إليك
البصر خاسئا وهو حسير ولقد زينا
السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما
للشياطين وأعتدنا لهم عذاب السعير:
وللذين كفروا بربهم عذاب جهنم وبئس
المصير: إذا ألقوا فيها سمعوا لها شهيقا وهي

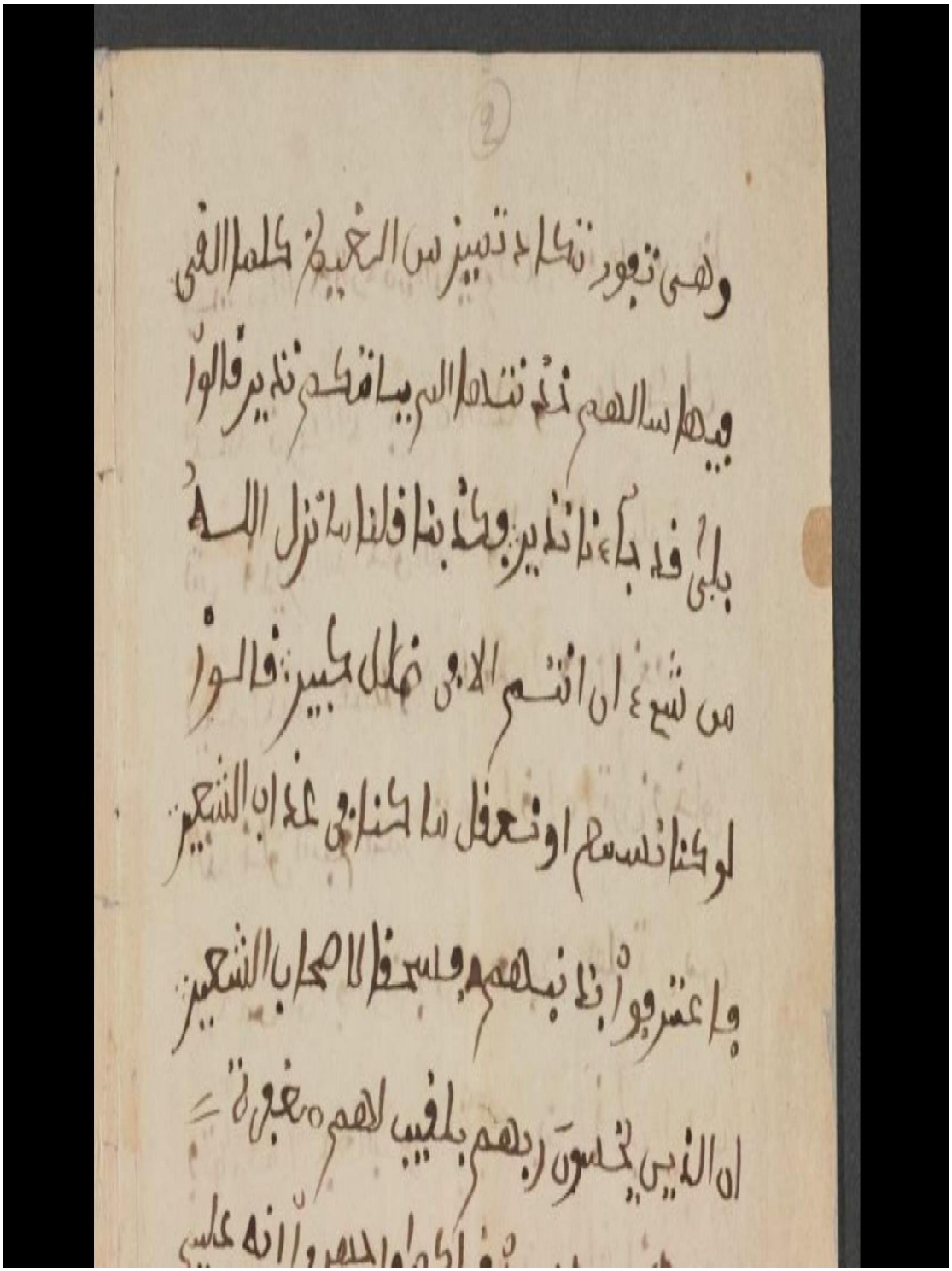

وهي تجود نفسا ونتميز من الغيظ كلما القي
فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير قالوا
بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله
من شيء إن أنتم إلا في ضلال كبير وقالوا
لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير
فاعترفوا بذنبهم وسحقا لأصحاب السعير
إن الذين يخشون ربهم بالغيب لهم مغفرة

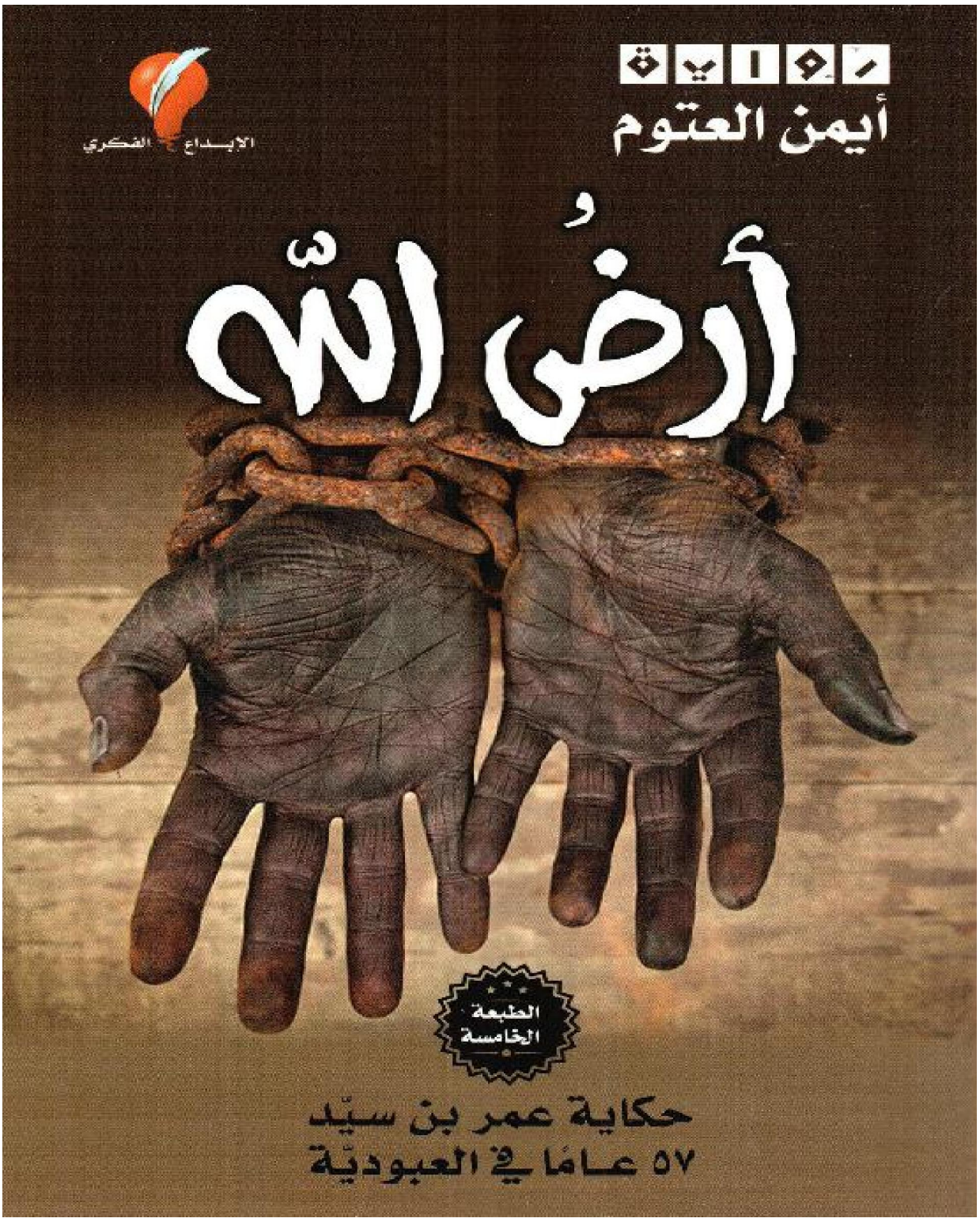
الإبداع الفكري
أيمن العتوم
أرضُ اللّه
الطبعة الخامسة
حكاية عمر بن سيّد
٥٧ عامًا في العبوديّة

قائمة

المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم**
- **كتب**
- **أ. كتب عربية:**

- أيمن العتوم، *أرض الله*، الإبداع الفكري للنشر والتوزيع، الكويت، 2020.
- إبراهيم الفقي، *الثقة بالنفس*، توزيع الراية، القاهرة، 2010.
- جاسم بن محمد بن المهلهل الياسين، *الهوية الإسلامية*، السماحة للطباعة والنشر والتوزيع، الكويت، 2012.
- خليل حاوي، *النبوءة في الشعر العربي الحديث*، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 2009.
- حسن حماد، *الإنسان المغترب عند إريك فروم*، مكتبة دار الكلمة، القاهرة، 2005.
- محمد السيد عبد الرحمن، *نظريات الشخصية*، دار قبى، القاهرة، 1998.
- محمد علي الجابري، *العولمة والهوية الثقافية*، مركز دراسة الوحدة العربية، بيروت، 1998.
- محمد برادة، *الرواية العربية ورهانات التجديد*، دار الصدى، الإمارات العربية المتحدة، 2011.
- فرانز فانون، *بشرة سوداء، أقنعة بيضاء*، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1971.
- عبد الرحيم الكردي، *السرد في الرواية المعاصرة*، مكتبة الآداب، القاهرة، 2006.
- عبد الحميد بورايو، *تحليل الخطاب السردي*، دار الغرب للنشر، 2007.

- عبد الحفيظ بن عبد الله المالكي، *نحو مجتمع آمن فكريًا*، دوحة المعرفة، 2010.

- عايدة العزب موسى، *العبودية في إفريقيا والتاريخ المفقود*، دار الشروق الدولية، (د.ت.).

- علي هشام، *ذاكرة المستعبد: قراءة في السرد المضاد عن أيمن العتوم*، مجلة دراسات ثقافية، 2024.

- محمد العربي ولد خليفة، *المسألة الثقافية وقضايا اللسان والهوية*، ديوان المطبوعات الجامعية، الأبيار–الجزائر، 2023.

- **ب . كتب أجنبية:**

- Peler Cozen ترجمة سامر جميل رضوان(، *البحث عن الهوية: الهوية وتشتتها في حياة إيريك إيريكسون وأعماله*، دار الكتاب الجامعي، العين، 2010.

❖ **معاجم وقواميس**

- إبراهيم مصطفى وآخرون، معجم *الوسيط* (مادة ش–ظ–ى)، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، الطبعة الرابعة، 2004.

- ابن منظور، *لسان العرب* (ج14)، دار المعارف، القاهرة، 1994.

- جيراد برنس (تر: سيد إمام)، *قاموس السرديات*، ميريت للنشر والمعلومات، القاهرة، 2003.

- جميل صليبا، *المعجم الفلسفي* (ج2)، دار الكتاب اللبناني، 1982.

- مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، *القاموس المحيط*، دار الحديث، القاهرة، 2008.

- محمد يعقوبي، معجم *الفلسفة*، دار الكتاب الحديث، القاهرة، 2008.

- محمد بن أي بكر بن عبد القادر الرازي، *مختار الصحاح*، دائرة المعاجم في مكتبة لبنان، بيروت، 1986.

❖ **مقالات ودوريات**

- اعتدال عثمان، "جماليات المكان"، مجلة أقلام، شباط 1986.

- "العنف الجنسي والعنف الجنساني"، ملف مجلس حقوق الإنسان، الدورة 53 (19 يونيو– 14 يوليو 2023)، الأمم المتحدة.

- جبران بن داحش علي محرزي، "اضطراب ما بعد الصدمة وعلاقته بقلق المستقبل"، مجلة إدارة البحوث والنشر العلمي، 37(7)، يوليو 2021.

- دانا طالب بور &شهريار نيازي، "العلاقة المتبادلة بين الشخصية والمكان في رواية لأنني أشتاق إليك"، مجلة اللغة العربية وآدابها (جامعة طهران)، 20(2)، 2024.

- رقية رستم بور الملكي &يسرى شادمان، "المكان الروائي في رواية قنديل أم هاشم"، مجلة الكلية الإسلامية الجامعة (النجف الأشرف)، 1(53)، (د.ت.).

- زغو محمد، "أثر العولمة على الهوية الثقافية للأفراد والشعوب"، مجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية (جامعة الشلف)، 4، 2010.

- صيتة العذبة، "رواية السجون بين فراشة هنري شاريير والحسيس العربي لأيمن العتوم"، *محاورات في الأدب والنقد*، 2(3)، جوان 2022.

- فائزة خمقاني، "أثر الفضاء والزمن في تقصي ملامح الهوية"، مجلة الأثر (جامعة قاصدي مرباح–ورقلة)، 28، 2017.

- حسين عماد، "اضطراب ما بعد الصدمة"، (مقال منشور)، (د.ت.).

- نهاد خلوف، "ملامح الهوية في رواية سيدات زحل"، مجلة المخبر (أبحاث في اللغة والأدب الجزائري)، 17(1)، 2021.

- محمد حكيمي، "صراع الهوية بين الأنا والآخر في رواية منبوذ والعصافير لإسماعيل يبرير"، مجلة إشكالات في اللغة والأدب، 9(5)، 2020.

- علاء عبد الرحمان، "هذه أبرز جرائم التجويع في المنظمة خلال الحروب"، عربي21، (د.ت.).

- أمل يونس، محمد إرحيم &نصر الدين إبراهيم حسين، "أثر السمات المكانية في تشكيل الشخصيات في رواية أرض لله"، مجلة الدراسات اللغوية والأدبية، 13(1)، 2022.

- راكان عبد العزيز الراوي، "الأمان العاطفي: طوق النجاة في العلاقة مع الذات والآخرين"، مجلة البيان، دبي، 2024.

❖ **رسائل وأطروحات جامعية**

- بوزغاية وفاء &حملة فريال، "تشظي الذات والبحث عن الهوية في رواية حطب سراييفو"، رسالة ماجستير، جامعة محمد خيضر –بسكرة، 2021.

- أسماء رزايقية أميرة شيتوي، "الأنا والآخر في رواية مروان لبن يحيى محمد سفيان"، مذكرة ماجستير، جامعة 8 ماي 1945–قالمة، (د.ت.).

- مجموعة كتاب، "المؤتمر الدولي الحادي عشر"، مجلة كلية التربية، جامعة واسط، نيسان 2012.

❖ **مصادر إلكترونية وتقارير**

- أيمن العتوم، "ميدان النص الإنساني: خالد عليا كنعان"، موقع الجزيرة، اطلع عليه 2019/03/27.
- أيمن العتوم، "الجائزة العالمية للرواية العربية"، اطلع عليه 2021/09/01.
- أماني أبو مسلم، "معنى اسم عمر"، موقع موضوع، 2023/08/17.
- منزلة الدعاء في العبادة، موقع إسلام ويب، 2008/03/08.

فهرس

الموضوعات

شكر وتقدير .....

إهداء .....

مقدمة..... خطأ! الإشارة المرجعية غير معرّفة.

مدخل: ضبط المفاهيم

أولاً: مفهوم السرد والهوية لغةً واصطلاحًا:.....5

أ) مفهوم السرد:.....5

ب) مفهوم الهُويّة: 8

ج) مفهوم تسريد الهوية:.....11

ثانيًا: مُحَدِّدَات الهوية: 12

1) عناصر مادية وفيزيائية:.....12

2) عناصر تاريخية: 12

3) عناصر نفسية ثقافية: 12

4) عناصر نفسية اجتماعية:.....12

ثالثًا: أيمن العتوم ورواية أرض الله: 14

1. نبذة عن حياة أيمن العتوم: 14

2. ملخص رواية أرض الله:.....17

الفصل الأول: تسريد الهوية في مرحلة تشكل الشخصية

المبحث الأول: محددات الذات الشخصية في الرواية 24

المطلب الأول: البعد الروحي والديني 25

المطلب الثاني: البعد الاجتماعي والثقافي 27

المطلب الثالث: التجربة الشخصية والتطور النفسي.....30

المبحث الثاني: تسريد الأمان في مرحلة تشكل الشخصية 33

المطلب الأول: محددات الأمان في مرحلة التشكيل.....33

المطلب الثاني: محددات الأمان وتأثيرها على تكوين الشَّخصيَّة.....40

المبحث الثالث: تسريد المكان في مرحلة تشكُّل الشَّخصيَّة.....49

المطلب الأوَّل: فوتا تور كرمز للبحث عن الحقيقة والهويَّة.....52

المطلب الثاني: توبا كرمز للتأمل والتغيير الروحي.....59

الفصل الثاني: تسريد الهوية في مرحلة العبودية.

المبحث الأول: مرحلة تشظي الهوية .....**خطأ! الإشارة المرجعية غير معرّفة.**

المطلب الأول: تهديد الذات وتعزيز القوة الداخلية 66

المطلب الثاني: الهوية المفقودة والذكريات.....78

المبحث الثاني: مرحلة المقاومة النفسية ومحاولة التحرر 83

المطلب الأول: صراع الأنا مع الآخر في محاولة إثبات الهوية.....83

المطلب الثاني: الأمان العاطفي من خلال العلاقات الإنسانية.....94

المبحث الثالث: مرحلة التحرر الفكري والاستسلام الجسدي.....99

المطلب الأول: ثبات الهوية واستقرارها 99

المطلب الثاني: الأمان الفكري والاستقرار النفسي:..... 104

الخـاتمـة..... خطأ! الإشارة المرجعية غير معرّفة.

المـــلاحق..... خطأ! الإشارة المرجعية غير معرّفة.

قائمة المصادر والمراجع..... خطأ! الإشارة المرجعية غير معرّفة.

فهرس الموضوعات..... خطأ! الإشارة المرجعية غير معرّفة.

الملخص

يمثل مفهوم الهوية أحد الإشكالات الجوهرية في الأدب والسرد المعاصر، خاصة حين يرتبط بسير ذاتية أو روايات تمتح من الذاكرة والوجدان وتجربة الوجود الإنساني. وفي هذا السياق، تأتي رواية أرض الله لأيمن العتوم كرحلة سردية عميقة في تشكل الهوية، حيث لا تُقدَّم الذات بوصفها كينونة مكتملة، بل باعتبارها مشروعًا في طور التكوين، يتشكل عبر الألم والفقد والتجربة الروحية.

يعتمد العتوم في بناء شخصيته المحورية "عمر" على تسريد داخلي عميق يستبطن تحولات الذات، ويُظهر كيف أن الهوية ليست مجرد انتماء جغرافي أوديني أو أسري، بل هي سردية معقدة تتكوَّن من التفاعل بين الذاكرة، والجسد، والمكان، والمقدّس. من خلال هذه الرواية، تتجلى الهوية في بعدها التفاعلي والتحولي، ويتحول السرد إلى أداة لفهم الذات، ولإعادة تشكيلها في مواجهة القسوة والفقد والاغتراب.

يسعى هذا البحث إلى تحليل مظاهر تسريد الهوية في أرض الله، والوقوف عند الآليات السردية التي اعتمدها الكاتب في التعبير عن تفتت الذات وسعيها نحو إعادة التشكل، وذلك من خلال محاور تمس البنية النفسية، والاجتماعية، والروحية لشخصية عمر.

Summary

The concept of Identity represents one of the fundamental problems in contemporary literature and narration, especially when it is related to a self - biographies or narrations that are opened from memory, conscience and the experience of human existence. In this context, the narration of the land of God for Ayman Al -Atoum comes as a deep narrative journey in the formation of identity, as the self is not presented as a complete entity, but rather as a legitimate formation of training, which is formed through pain, loss and spiritual experience. Al -Atoum depends on building his pivotal personality "Omar" on a

deep Internal delinquency that lines self -transformations, and shows how identity Is not just a geographical, religious or family affiliation, but rather a complex narrative consisting of interaction between memory, body, space, and sanctification. Through this novel, the identity is manifested In its interactive and transformative dimension, and the narration turns into a tool for self -understanding, and to reshape It in the face of cruelty, loss and alienation. This research seeks to analyze the manifestations of identity in the land of God, and to stand at the narrative mechanisms that the writer adopted in expressing the fragmentation of the self and its endeavor towards re -formation, through axes that affect the psychological, social, and spiritual structure of Omar's personality

تم بحمد الله تعالى